الباب الثاني

الرد على الشبه التي أثيرت حول أبي هريرة

- أبو هريرة وبعض الباحثين
- موقف الصحابة من أبي هريرة

obeikandl.com

obeikandl.com

أبو هريرة وبعض الباحثين

ذلكم أبو هريرة الذى عرفناه قبل إسلامه وبعد إسلامه ، عرفناه فى هجرته وصحبته للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، فكان الصاحب الأمين والطالب المجد ، يدور مع الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام فى حله وترحاله ، ويشاركه أفراحه وأحزانه ، وعرفنا التزامه للسنة المطهرة ، وتقواه وورعه ، فى شبابه وهرمه ، وفى غناه وفقره ، وقرأنا كثيراً عن تواضعه وكرمه ، ورأينا مواقفه المشرفة فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، واعتزاله الفتن وحبه للجماعة وسعيه للخير ، وكشفنا عن روحه الطيبة المرحة ، ونفسه الصافية ، وأخلاقه الكريمة ، وزهده فى الدنيا وتفانيه فى سبيل الحق ، وعرفنا مكانته العلمية ، وكثرة حديثه ، وقوة حافظته ، ورأينا منزلته بين أصحابه ، وثناء العلماء عليه .

ذلكم أبو هريرة الذى صوره لنا التاريخ من خلال البحث الدقيق ، إلا أن بعض الباحثين لم يسرهم أن يروا أبا هريرة فى هذه المكانة السامية ، والمنزلة الرفيعة ، فدفعتهم ميولهم وأهواؤهم إلى أن يصوروه صورة تخالف الحقيقة التى عرفناها ، فرأوا فى صحبته للرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ، غايات خاصة لأبى هريرة ، ليشبع بطنه ويروى نهمه ، وصوروا أمانته خيانة ، وكرمه رياء ، وحفظه تدجيلا ، وحديثه الطيب الكثير كذباً على رسول الله عليه الصلاة والسلام وبهتاناً ، ورأوا فى فقره مطعناً وعاراً ، وفى تواضعه ذلا ، وفى مرحه هذراً ، وصوروا أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر لوناً من المؤامرات لخداع العامة ، ورأوا فى اعتزاله الفتن تحزباً ، وفى قوله الحق انحيازاً ، فهو صنيعة الأمويين الذين طووه تحت جناحهم فكان أداتهم الداعية لمآربهم السياسية ، فكان لذلك من الكاذبين الواضعين للأحاديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم افتراءً وزوراً !! .

هكذا أراد أن يصوره بعض أهل الأهواء ، كالنظام ، والمريسى ، والبلخى ، وتابعهم فى هذا العصر بعض المستشرقين أمثال (جولدتسيهر)

و (شبرنجر) وأغرب من هذا أن يطعن فيه وفى السنة بعض من ينسب إلى العلم . فقد عثرت أثناء بحثى على كتاب تحت عنوان (أبو هريرة) ألفه عبد الحسين شرف الدين العاملى ، وهو إمامى . والإمامية يتخذون أبا هريرة هدفاً لكى يوِّهنوا أحاديث أهل السنة ويرفضوها ، ويروِّجوا أخبارهم . وقد لف لفهم من كان لهم تابعاً مجرباً على تبعيته . ولم أكد أتصفحه حتى دهشت لما جاء فيه من الافتراءات والطعون ، والتأويلات التى لا تتمشى مع البحث العلمى ، ولا توافق التاريخ . . وقد استقى من هذا الكتاب أيضاً محمود أبو ريه صاحب كتاب (أضواء على السنة المحمدية) ، فكان أشد على أبى هريرة من أستاذه . وأكثر مجانبة للصواب ، فرأيت من واجبى أن أرد تلك الشبهات التى أثارها بعض أهل الأهواء والمستشرقين وبعض الباحثين ، الذين كشفوا عن جوانب من سيرة أبى هريرة ، وتركوا الجوانب الأخرى ، كما حدث للباحث الأستاذ أحمد أمين . ورأيت أن أرد على بعض ما جاء فى كتاب (أبو هريرة) وأتناول خلال ذلك بعض النقاط التى اشترك فيها هؤلاء جميعاً ، مبيناً فى ذلك كله وجه الحق بالأدلة والبراهين ، معتمداً على الله عز وجل طالباً منه التوفيق والسداد .

❋ ❋ ❋

مقدمة كتاب (أبو هريرة) :

قال عبد الحسين شرف الدين : (هذه دراسة لحياة صحابى روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكثر حتى أفرط . وروت عنه صحاح الجمهور وسائر مسانيدهم، فأكثرت حتى أفرطت أيضاً. ولا يسعنا إزاء هذه الكثرة المزدوجة إلا أن نبحث عن مصدرها لاتصالها بحياتنا الدينية ، والعقلية . اتصالا مباشراً . ولولا ذلك لتجاوزناها . وتجاوزنا مصدرها إلى ما يغنينا عن تجشم النظر فيها وفيه .

ولكن أسلات هذه الكثرة قد استفاضت فى فروع الدين وأصوله ، فاحتج بها فقهاء الجمهور ومتكلموهم فى كثير من أحكام الله عز وجل وشرائعه . ملقين إليها سلاح النظر والتفكير .

ولا عجب منهم فى ذلك بعد بنائهم على أصالة العدالة فى الصحابة أجمعين ، وحيث لا دليل على هذا الأصل « كما هو مبين محله بإيضاح ») .

أى إفراط كان من أبى هريرة ؟ وهو الحافظ الذى عرفناه ، والمفتى الذى احتاجت إليه الأمة ، بعد وفاة رؤوس الصحابة . وبقى أبو هريرة مع من بقى فى المدينة مرجعاً للمسلمين فى دينهم وشريعتهم ، بعد أن انطلق الصحابة إلى الأقطار الإسلامية يعلمون أهلها ويفقهونهم . وسنتعرض للرد التفصيلى على دعواه هذه فيما بعد . ولكن لابد من الإشارة إلى أن أبا هريرة لم يكن مفرطاً ، بل كان كغيره من علماء الصحابة ، يُستفتى فيفتى ، ويُسأل فيجيب . فلم يكن مفرطاً فى عهد الخلفاء الراشدين ولا بعدهم ، إنما وثق به القوم ، وعرفوا مكانته . فوضعوه حيث يستحق . فكم من راحل يقطع المسافات ليرى أبا هريرة . وكم من مقيم يترك كبار الصحابة ويأتيه فى مسألة أو حديث عن رسول الله عليه الصلاة والسلام . فأبو هريرة لم يكثر من عنده ، إنما وثق الناس بحفظه فحرصوا على أن ينهلوا منه ، فما جريرته فى ذلك ، وقد شهد بعلمه وحفظه ابن عمر وطلحة بن عبيد الله والزبير وغيرهم . حتى إنه قال — عندما استكثروا حديثه — : ما ذنبى إذا حفظت ونسوا ؟ .

وأما أن الصحاح وسائر مسانيد الجمهور قد أفرطت فيما روته عنه ، فهذا ظلم وجور ، لا نوافقه عليه ، ولا يقبله منه إنسان منصف ، ولا يقره عليه عقل راجح ، وأنه حكم بلا دليل ولا حجة . فإن الصحاح لم تضم بين دفاتها أى حديث إلا بعد بحث وتنقيب وتمحيص ، ومقارنة وتحقيق ، يتناول حياة الراوى وسلوكه وحفظه ، ولا يؤخذ عن إنسان إلا بعد التحقق من عدالته ، ولم يكتف المحدثون بهذا ، بل كان للعقل محله ودوره واعتباره فى التحمل ، والأداء وحين الحكم على الرواة ، وعلى الأحاديث . فكان النقد يتناول الرجال والمتن ، ولم يكن النقد خارجياً فقط ، بل كانوا يعرضون الرواية على القرآن والسنة ، حتى يتأكدوا من صحة الخبر ، وكان منهم من يجمع الأخبار المتعارضة فيسلك طريق الدراسة والموازنة والتوفيق والترجيح حتى يتبين له وجه الحق والصواب ، فلم تكتب الصحاح إلا على أسس علمية دقيقة ، تتناول السند والمتن على السواء .

ففى هذا الطعن أخطأ المؤلف طريقه ، وتنكب جادة الصواب ، واتهم المسلمين جميعاً بأنهم لم يعرفوا قيمة الصحاح ، وفى هذا إنكار شديد للمنهج العلمى الذى نهجه المحدثون للمحافظة على السنة الشريفة ، وقد ذاعت شهرة هذا المنهج وانتشرت فى الآفاق ، حتى شهد الغرباء عن الإسلام ، بل أعداء الإسلام بدقة العمل الذى كان عليه حفاظ الأمة ومحدثوها ، من ذلك ما قاله مرجليوث : « ليفتخر المسلمون ما شاؤوا بعلم حديثهم »(١) .

ولكن المؤلف لا يذكر هذا ليعمى على المسلمين طريقهم ويشككهم فى كتبهم المعتمدة ، قبل أن يدلى بأية حجة أو أن يعرض عليهم بعض بحثه ، يريد منا أن نسلم له بما يقول ويرى ، فنحن كقراء لا نعرف شيئاً عن أبى هريرة وحديثه ، لا يمكننا أن نحكم عليه ما لم ندرسه دراسة نزيهة محررة ، نحكم عليه من خلالها . أما أن نكون فريسة خياله وأهوائه فهذا خلاف البحث العلمى . وما عهدنا بحثاً توضع نتائجه قبل مناقشته ومحاكمته ، فهذا خلاف المنهج العلمى الذى يدعيه .

ثم إنه يرى ذلك نتيجة طبيعية للأصل الذى أجمع عليه الجمهور ، وهو عدالة الصحابة ، ويدعى عدم وجود دليل على هذا الأصل . إلا أننا أثبتنا صحة ما ذهب إليه الجمهور وبينا الأدلة فى ذلك(٢) ثم يقول : (لم يكن لنا بد من البحث عن هذا المكثر نفسه . وعن حديثه كماً وكيفاً لنكون على بصيرة فيما يتعلق من حديثه بأحكام الله فروعاً وأصولا ، وهذا ما اضطرنا إلى هذه الدراسة الممعنة فى حياة هذا الصحابى — وهو أبو هريرة — فى نواحى حديثه ، وقد بالغت فى الفحص . وأغرقت فى التنقيب حتى أسفر وجه الحق فى كتابى هذا ، وظهر فيه صبح اليقين) .

لقد تصور أحاديث أبى هريرة موضوعة ومكذوبة ، وقد تغلغل هذا الوضع فى أصول الدين وفروعه ، وغفل عنه المسلمون ! ! لذلك كان من واجبه الدفاع عن الشريعة الغراء . وحمايتها من الأكاذيب والأوهام ،

---

(١) تقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل عن المقالات العلمية : ٢٣٤ — ٢٣٥ .

(٢) انظر ما كتبناه عن عدالة الصحابة وأدلة ذلك فى هذا الكتاب .

فكان لابد له من دراسة أبي هريرة . تلك الدراسة التي كشفت عن وجه الحق — كما يدعي — إلا أنها دراسة كشفت عن نوايا خبيثة في نفوس أعداء السنة وخصوم الصحابة رضوان الله عليهم . دراسة بينت حقدهم على الصحابة . وعلى أبي هريرة بوجه خاص . ومن يطلع على كتابه هذا ، لا يشك في أنه حلقة في سلسلة الأبحاث التي يقوم بها المستشرقون المتطرفون ، وأتباعهم من المسلمين المغرضين . وليس إلا خدمة لأعداء الإسلام ، ووسيلة لتصديع جمع المسلمين في وقت كادت كلمتهم أن تتفق ، وأوشكت وحدتهم أن تتم .

ويرى المؤلف أنه حلل نفسية أبي هريرة تحليلا علمياً حتى فهم (كنهه وحقيقته من جميع نواحيه) لندركه بحواسنا كلها .

كما يرى أنه أمعن النظر في حديثه كماً وكيفاً فيقول : (فلم يسعنا — شهد الله — إلا الإنكار عليه في كل منهما) .

ويكثر الطعن في أبي هريرة وحفظه وكثرة حديثه ويعيب عليه أميته ، ثم يقول : (ونحن حين نحكم الذوق الفني والمقياس العلمي نجدهما لا يقران كثيراً مما رواه هذا المفرط في اكثاره وعجائبه ... ص : ب) .

وتابع المؤلف الحط من قدر أبي هريرة وأقل ما قاله في الصفحة (ج) : (فالسنة أرفع من أن تحتضن أعشاباً شائكة . وخز بها أبو هريرة ضمائر الأذواق الفنية . وأدمى بها تفكير المقاييس العلمية . قبل أن يشوه بها السنة المنزهة . ويسيء إلى النبي وأمته) .

أجل لقد وخز أبو هريرة بقول الحق ضمائر من يريدون الباطل ، وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لا يتفق مع أهل الأهواء وعقائدهم . فناصبوه لذلك العداء .

والمؤلف ينادي بالذوق الفني . والتفكير العلمي ، فأي ذوق يريد وأي تفكير يقصد ؟ بعد أن أجمعت الأمة من لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا ، على دقة الذوق الفني عند المحدثين في علمهم ومنهجهم ، حتى أصبح تثبتهم في العلم مضرب الأمثال ، لم يتركوا كبيرة

أو صغيرة إلا بينوها ، فعرفوا الصحيح والضعيف والسليم والمعلول ، لم تأخذهم فى ذلك عاطفة أو هوى ، فطبقوا مقاييسهم الدقيقة على الجميع ، فكانوا قدوة حسنة فى إخلاصهم وأمانتهم ، حتى إن الرجل يأبى أن يحدِّث عن أبيه أو أخيه بالرغم من ورعه وصلاحه ، ويبين أمره للناس ، من ذلك قول على بن المدينى فى أبيه حين سألوه عنه قال : (سلوا عنه غيرى ، فأعادوا المسألة ، فأطرق ثم رفع رأسه فقال : هو الدين إنه ضعيف)(١) كما كانوا يأبون أن يحدثوا من يرتابون فى أمره ، وإن كان صالحاً أو ذا منزلة ومكانة ، من هذا ، ما رواه أحمد بن أبى الحوارى قال : جاء رجل من بنى هاشم ليسمع من ابن المبارك فامتنع . فقال الهاشمى لغلامه : قم بنا ، فلما أراد الركوب ، جاء ابن المبارك ، يمسك بركابه ، فقال : يا أبا عبد الرحمن لا ترى أن تحدثنى وتمسك بركابى . . ! ! ؟ قال : رأيت أن أذل لك بذلى ، ولا أذل لك الحديث ! !) (٢) .

هؤلاء جهابذة العلم ، ورجال الفن ، الذين نقبل حكمهم فى أبى هريرة ، فلو عرفوا عنه شيئاً ما سكتوا عنه وإن كان صحابياً جليلا ، لأن السنة والشريعة لا تحابى أحداً .

ولكنهم لم يجدوا ما يأخذونه عليه ، بل كان عندهم الثقة الأمين . . على ضوء المقاييس العلمية والأذواق الفنية المجردة .

ويتابع الكاتب قوله : (... فلا يصح فى منطق أن نسكت عن هذا الدخل الشائن لجوهر الإسلام ، وروحه الرفيعة المنادية بالتحرر والانعتاق من كبول العقائد السخيفة والخرافات التى يسبق إلى الذهن استنكارها ، وإذن فالواجب تطهير الصحاح والمسانيد من كل ما لا يحتمله العقل من حديث هذا المكثار) . أى دخل شائن لجوهر الإسلام وروحه ؟ نحن على استعداد ، بل المسلمون جميعاً مستعدون ، للدفاع عن الإسلام وتخليصه من

---

(١) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ : ٦٦ وانظر أيضاً قول زيد بن أبى أنيسة فى أخيه : صحيح مسلم بشرح النووى : ١٠ / ١٢١ .

(٢) تذكرة الحفاظ : ١ / ٢٥٥ .

الشوائب ، ولكن أى خرافات وسخافات فى حديث أبى هريرة ؟ وهل يريد منا المؤلف أن ننظر إلى تلك الأحاديث من زاوية معينة ؟ أم أنه يظن أن الأمة بقيت فى غفلة عن تلك الأوهام والضلالات ، طيلة أربعة عشر قرناً لا تعرف جوهر الإسلام ، ولا تميزه من خرافاته ، لقد طعن فى طلائع العلماء وأئمة النقد ، واتهمهم بالسكوت على المنكر ، وهذا يوجب تأثيم الأمة بأجمعها ، ولا أظن أحداً يقول هذا ! ؟ لقد جعل تلك المواكب المتتالية ، والأمواج المتتابعة من أبناء الأمة ، رجال العلم والبحث ، خلال تلك القرون الطويلة ، ينسون أو يتجاهلون ما ورد عن أبى هريرة من تلك الخرافات التى — يزعمها المؤلف — ليتسنى له الكشف عن ذلك على يدى بحثه العلمى !!! فينقذ به الأمة من قيود الجهل والغفلة !! وقد شعر المؤلف بخطر بحثه فقال : (... أقول هذا وأنا أرى وجوهاً تنقبض دونى ، ونفوساً تتقبض مزورة عنى . وقد يكون لها بسبب الوراثة والتربية والبيئة أن تنقبض و تتقبض أمام حقيقة وضعها البحث على غير ما ألفت من احترام الصحابة واعتقاد عدالتهم أجمعين أكتعين أبصعين ، من غير أن تزن أعمالهم وأقوالهم بالموازين التى أخذ النبى صلى الله عليه وسلم بها أمته لأن الصحبة عندهم بمجردها حرم لا تنال من اعتصم به معرة ولا يمس بجرح ، وإن فعل ما فعل ، وهذا شطط على المنطق وتمرد على الأدلة ص : ج) كيف لا تتقبض النفوس الصافية عن الباطل ؟ وكيف لا يثور المرء المعتدل للحق إذا ديست حرمته ؟ إنه يفترى على الصحابة نقلة الشريعة وحفاظها ، ويريد منا أن نكون فى برد وسلام !! ثم من هم الصحابة الذين فعلوا ما فعلوا وجعلهم الجمهور معصومين ؟ لقد بينت فيما سبق أن من اختلف فى عدالتهم من الصحابة لا يتجاوزون أصابع اليد الواحدة . . ومع هذا فقد انتصر لهم ابن العربى وبيّن الحق وأبطل ما ادعاه الخصم .

ثم يتابع قوله مبيناً أحوال الصحابة إلى أن يقول : (هذا رأينا فى حملة الحديث من الصحابة وغيرهم ، والكتاب والسنة بيننا على هذا الرأى — « ويقول فى هامش ص : د » : ولكن الجمهور بالغوا فى تقديس كل من يسمونه صحابياً حتى خرجوا عن الاعتدال فاحتجوا بالغث منهم والسمين) —

فالوضاعون لا نعفيهم من الجرح وإن أطلق عليهم لفظ الصحابة ، لأن فى إعفائهم خيانة لله عز وجل ولرسوله ولعباده . . وعلى هذا فقد اتفقنا فى النتيجة وإن قضى الالتواء فى المقدمات شيئاً من الخلاف ، فإن الجمهور إنما يعفون أبا هريرة وسمرة بن جندب والمغيرة ومعاوية وابن العاص ومروان وأمثالهم تقديساً لرسول الله لكونهم فى زمرة من صحبه صلى الله عليه وسلم ، ونحن إنما ننتقدهم تقديساً لرسول الله ولسنته صلى الله عليه وسلم شأن الأحرار فى عقولهم ممن فهم الحقيقة من التقديس والتعظيم . ص : د) .

إن بحثه هذا عن أبى هريرة سيبين مقدار محافظته ودفاعه عن السنة ، فالدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتقديس رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكون فى طعن أصحابه وتكذيبهم ، والافتراء عليهم ، والاستهزاء بهم ، وهو القائل : « لا تسبوا أصحابى » ، و « احفظونى فى أصحابى » ثم إنه بعد ذلك يبين أن كتابه هذا وضعه مخلصاً للحق ، ولا يريد من أحد أن يتقبض وجهه (ص : هـ) ثم يقول : (لا نقصد بهذا الكتاب — شهد الله . أن نصدع هذه الوحدة المتواكلة المتراكمة فى هذه اللحظة المستيقظة ، بل نقصد تعزيز هذه الوحدة وإقامتها على حرية الرأى والمعتقد لتكون الوحدة على هذا الضوء أهدى للغاية ، وأدل على القصد) .

وشهد الله أن كتابه معول هدام فى بناء هذه الوحدة . وعامل لتفريق كلمتها ، وتشتيت شملها ، وأن حرية الرأى والمعتقد اللتين يراهما ، إنما هما الفوضوية والعصبية والهوى بعينه ، تحت أسماء مغرية براقة ، فهل الحرية فى التفكير أن يقول من شاء ما شاء ومتى شاء وكيف شاء !! ؟ أم أن الحرية والذوق الفنى والكرامة العقلية خاصة بفئة معينة ، وخاضعة لمقاييس شخصية تتبدل حسب الميول والأهواء ؟ أم أن الكرامة العقلية والتفكير العلمى مجرد الدفاع عن مبدأ مهما كان نصيبه من الصواب والخطأ ؟؟ لا أظن أحداً يوافق على مثل هذا . فالتفكير العلمى والذوق الفنى يكونان على أسس ثابتة لا تتأثر بنزعة أو هوى ، أسس عامة شاملة لا تنظر النظرة الخاصة الضيقة ، أسس مبنية على منهج علمى سليم .

ثم يسرد الكاتب ألواناً موجزة فى مقدمته مما جاء فى كتابه ، كخلاصة أو فكرة عامة عن جهوده وبحثه ، مما سنعرض له بما يتناسب وهذه الرسالة الموجزة . أتحرى الحق ، غير منحاز إلى فئة أو متأثر بهوى ، أبحث ما جاء فى كتابه وأشير أحياناً إلى ما ذكره بعض الطاعنين فى أبى هريرة إذا ما اقتضى الأمر ، لاشتراك المؤلف وبعض الطاعنين فى فكرة أو رأى .. ، وستكون هذه الدراسة على ضوء ما عرفناه من حياة أبى هريرة ، وعلمه فى الباب السابق ، ولن أبادل الطاعنين استهزاءهم وازدراءهم لأبى هريرة ، بازدراء مثله ، ولن أرد شتائمهم وسبابهم وافتراءاتهم بمثل ما فعلوا ، لأن المنهج العلمى يأبى هذا كله .

❋ ❋ ❋

١ — اسمه ونسبه :

يقول الكاتب : (كان أبو هريرة غامض الحسب ، مغمور النسب فاختلف الناس فى اسمه واسم أبيه اختلافاً كثيراً . لا يحاط به ولا يضبط فى الجاهلية والإسلام . وإنما يعرف بكنيته ، وينسب إلى دوس : ص ٢) .

أراد أن يغض من قدر أبى هريرة ، ويغمز نسبه لأنه لم يكن معروفاً فى الجاهلية ، ولاختلاف الناس فى اسمه ، ومتى كان الاختلاف فى اسم إنسان يشينه أو يسقط عدالته ؟ ويكفى أن نعرفه بكنيته كما عرفنا أبا بكر وأبا عبيدة وأبا دجانة الأنصارى وأبا الدرداء ، الذين اشتهروا بكناهم وغابت أسماؤهم عن كثير من الناس . . ولم نسمع فى يوم من الأيام أن الحسب والنسب يقدم صاحبه فى المفاضلة العلمية أو يؤخره . ثم إنه اشتهر بكنيته من صغره وعرفه الناس جميعاً بذلك ، فما يضيره أن يعرف بكنيته ويختلف اسمه ؟ والاختلاف فى الاسم طبيعى وبدهى لا فى أبى هريرة وحده بل فى كل إنسان عرف بكنيته منذ نعومة أظفاره ، ولم هذه الحملة وإيهام القارىء بأن اسمه لا يحاط به ولا يضبط ؟ ومرد الخلاف فيه إلى ثلاثة أسماء (عمير وعبد الله وعبد الرحمن) كما قال ابن حجر(١) ، وقد اختلف فى

(١) الإصابة : ٧/٢٠١ .

اسم غيره على أكثر من ذلك ولم ير فيهم عيباً أو مطعناً بسبب ذلك ! ! .

ثم يقول : (وكنى أبا هريرة بهرة صغيرة كان مغرماً بها ولعل من غرامه بها حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن امرأة دخلت النار فى هرة ربطتها ص ٣ — ٤) .

إن أبا هريرة الطفل الصغير الذى كان يرعى غنم أهله ، ويداعب هرته فى نهاره ويضعها فى شجرة أثناء الليل ، ما كان يظن ولا يتوقع أن تصبح كنيته سبب مهانته وازدرائه ، فأى عار لأبى هريرة فى كنيته وأى إثم اقترفه حين لقبه أهله بذلك .

ثم نحن أمام زعم خطير من المؤلف ، فإما يتهمه أنه وضع حديث الهرة على رسول الله ، أو أنه سمعه فحدث به . فإن كانت الأولى ، فمعاذ الله أن يجرؤ أبو هريرة ويكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبيل هرته التى رافقته فى صغره ، ثم إن الحديث قد رواه الإمام أحمد والبخارى ومسلم والدارمى وابن ماجه . وصحيح أن راويه فى مسلم أبو هريرة وحده وأما فى البخارى فلم ينفرد به أبو هريرة بل رواه أيضاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عمر وأسماء بنت أبى بكر(١) . فهل هؤلاء شاطروا أبا هريرة فى كذبه ! ! ؟ أم أن لهؤلاء هرراً حملتهم على وضع مثل حديث أبى هريرة ! ! ! ؟ إن الحقيقة ترد هذا الافتراض والتخمين الذى تصوره المؤلف .

وإذا كان المؤلف يقصد الثانية وهى سماع أبى هريرة الحديث والتحديث به ، فأى جريمة يقترفها من يبلغ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو الذى حض الصحابة على نقل وتبليغ حديثه ؟ فهل يؤخذ على أبى هريرة أمر منكر فى هذا ! ! ؟ أم أن المؤلف نظر من زاوية خاصة إلى راوية الإسلام فكانت لا تعكس عليه إلا ما فى نفسه من الظلمات ؟ .

نحن فى موضع الحكم على صحابى ، بل على إنسان له شعوره وكرامته ،

---

(١) فتح البارى : ٥/٤٣٩ وصحيح مسلم : ٤/٢٠٢٣ و ٢١١٠ .

وحقوقه الاجتماعية — أقول هذا بغض الطرف عن مكانة وشرف الصحبة — والحكم على إنسان مهما كان شأنه صعب يحتاج إلى روية ، وبحث وتنقيب ، وعقل وتفكير . لأننا إذا طعنا فيه يعنى ذلك أننا حرمناه من جميع حقوقه الاجتماعية ، والثقافية والسياسية وغيرها . ورفضنا كل ما يصدر عنه وتركنا كل ما رواه أو قاله . وإن حكمنا بعدالته نكون قد اعترفنا له بكل حقوقه وأقررنا وقبلنا مروياته ، ولهذا وجب علينا أن نتجرد ، لنرضى الله تعالى ونكون مع الحق الذى أمرنا باتباعه وتطبيقه . وإن كان فى هذا غضب أصحاب الأهواء والغايات .

❋ ❋ ❋

٢ — نشأته وإسلامه :

قال الكاتب : (نشأ فى مسقط رأسه « اليمن » وشب ثمة حتى أناف على الثلاثين ، جاهلياً لا يستضىء بنور بصيرة ، ولا يقدح بزناد فهم ، صعلوكاً قد أخمله الدهر ويتيما أزرى به الفقر ، يخدم هذا وذاك وتى وتلك ، مؤجراً نفسه بطعام بطنه حافياً عارياً ، راضياً بهذا الهوان ...) .

أترك القارىء الأمين يحكم على هذا النص ويستنتج منه روح ونفسية الكاتب الذى وضع نفسه قاضياً أو حكماً لينصف الإسلام فى شخصية أبى هريرة ، ويضع أبا هريرة حيث يليق به .

أيها الناس.. هل من إنسان متجرد للحق وحده يقبل أن يقال فى أبى هريرة هذا . . بعد أن رأى الصورة الصادقة التى لم يخالطها هوى ، أو تعتريها رغبات نفس حقودة ، أو طائفية موروثة !! ؟؟ .

نحن نقبل الذوق الفنى والمقياس العلمى الذى ادعاه الكاتب فى مقدمة كتابه . فنقول : متى كان الجهل يسقط العدالة ؟ وهل كان جميع الناس فى الجاهلية متعلمين أو علماء ؟ ألم يكن كثير من الصحابة أميين جاهلين قبل الإسلام فشرح الله صدورهم للإيمان ، وثبته فى قلوبهم ، فغدوا سادات زمانهم ، وعلماء عصرهم ، وأساتذة أمتهم .

وغريب كيف استنتج هذا الكاتب عدم فهم أبى هريرة ؟ هل استعمل معه مقاييس الحفظ والذكاء ؟ أم أن هذا قدح ضمير وتحليق خبير ؟ أم أنه ابداع بلا تفكير !! ؟ .

وما يضير أبا هريرة إذا لم ينتشر صيته فى الآفاق . وهل كان وحده كذلك أم أن أبا بكر وعمر وعثمان وسعداً وعبد الرحمن بن عوف وأكثر الصحابة كانوا غير معروفين قبل الإسلام ؟ وهل يجرؤ امرؤ أن يسلب عدالة هؤلاء وغيرهم لأن شهرتهم لم تطر فى مشارق الأرض ومغاربها قبل أن يكونوا مسلمين ؟ . أما أنه يرمى أبا هريرة بالتصعلك فهذا لا نرضاه منه ولا من غيره . فإن كان يريد بها ما يفهمه عوام عصرنا ، من الدناءة والخسة وانحطاط القدر والتطفل ، فيكون قد حكم عليه من غير دليل ولا حجة ، وإن كان يريد بها الفقر والفاقة — وهو المعنى اللغوى — فلا داعى لتكرار كلمة (الفقر) ثانية فى جملة واحدة . وهذا لا يليق بمن يتصدر للكتابة والحكم ، لأن فى الإطالة ما يصد النفس ، ويسىء إلى الذوق ، والكاتب لا يحب أن يجرح أذواق قرائه ، لأنه يحب الذوق الفنى السليم ، فتعين أن مراده المعنى الأول ، وهو أمر وأدهى .

أجل . . لم يكن أبو هريرة غنياً ، ولا أرستقراطياً ، إنه أحد ملايين الفقراء الذين عاشوا كراماً رغم الفاقة والحرمان . ومتى كان الفقر رذيلة أو عاراً ؟ إننا لم نسمع فى عصر من العصور بسقوط عدالة إنسان ، أو احتقاره بسبب فقره ، وأن مثل هذا الحكم لا يصدر إلا فى بيئة مادية ، يعيش أبناؤها مترفين مبذرين . . أو فى مجتمع تحكمت به عادات الأرستقراطية وحفنة أعرافها وتقاليدها . .

وما كنا نظن أن يحكم الكاتب على أبى هريرة بالمهانة والازدراء لكونه فقيراً ، لأننا على علم يقين بأنه ليس واحداً ممن ذكرنا . وهو الذى قال فى مقدمة كتابه : إنما نحكم بما أمر الله ورسوله ، ويتبع فى بحثه الحق ، **فعلى أى أساس بنى حكمه هذا !! ؟** هل فى القرآن أو السنة ما يجعل الفقر عيباً أو عاراً ؟ . . كلا . . فها هو يجانب المنهج العلمى الذى وضعه لنفسه .

ثم هل فى عمل أبى هريرة وسعيه – كى لا يكون عالة على قومه – عيب ؟ وهل كان العمل فى يوم من الأيام عاراً ؟ .

وأغرب من هذا أنه يأخذ على أبى هريرة (حفاه) ويدعى (عريه) راضياً بهذا الهوان .

أقول هل كان جميع الناس ينتعلون الأحذية والنعال ؟ ومتى كان مقياس العدالة الانتعال أو عدمه ؟ ونحن فى القرن العشرين ما سمعنا فى يوم من الأيام بسقوط عدالة حاف . أو ثبوت عدالة منتعل !! والحفاة كثيرون . فالناس سواء حفاتهم ومنتعلوهم ، وإنما المفاضلة فى التقوى وحسن الخلق ، كما قال تعالى : « **إن أكرمكم عند الله أتقاكم** »(١) .

وإنى لأعجب من ادعائه (عرى) أبى هريرة ، وأتساءل كيف استنتج هذا ؟ ومن نقل إليه ذلك ؟ . ثم هل فى كل ما سبق هوان وذل لأبى هريرة رضى الله عنه ؟ .

ثم يقول الكاتب : (لكن لما أظهر الله أمر نبيه صلى الله عليه وسلم فى المدينة الطيبة بعد بدر وأحد والأحزاب وبعد اللتيا والتى ، لم يكن لهذا البائس المسكين حينئذ مذهب عن باب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهاجر إليه بعد فتح خيبر فبايعه على الإسلام . وكان ذلك سنة سبع للهجرة باتفاق أهل الأخبار أما صحبته فقد صرح أبو هريرة – فى حديث أخرجه البخارى – بأنها إنما كانت ثلاث سنين : ص ٥) .

لقد سبق أن بينت أن الفقر والمسكنة لا يحطان من قدر المرء ومكانته إلا عند من أعمت المادة قلوبهم ، ولم يكن دخول الجنة مشروطاً باللبس والبذخ . « فرب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره »(٢) . ولعل المؤلف يرد هذا الحديث لأن راويه أبو هريرة .

ثم إن أبا هريرة أسلم قبل خيبر على يد الطفيل بن عمرو (٣) وإنما هاجر

---

(١) الحجرات : ١٣ .

(٢) صحيح مسلم : ٤/٢٠٢٤ و ٢١٩١ .

(٣) الإصابة : ٣/٢٨٧ وانظر فى هذا الكتاب « إسلامه وهجرته » .

إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام فتح خيبر ، فأكرمه الرسول صلى الله عليه وسلم وأسهم له كما فى إحدى الروايات ، وأشار أبو هريرة حينذاك على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يقسم لأبان بن سعيد بن العاص ، لأنه قاتل ابن قوقل(١) . وابن قوقل هو النعمان صحابى استشهد يوم أحد . فهذا دليل على أن أبا هريرة كان قد أسلم قبل خيبر وكان يتتبع أخبار المسلمين قبل هجرته إلى المدينة ، وأنه من ذوى الرأى يتقدمون به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو سلمنا جدلا بأنه أسلم يوم خيبر ، أنعيب عليه إسلامه هذا ؟ ألم يسلم بعد خيبر خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعثمان بن أبى طلحة وغيرهم ؟ .

وأما أن صحبته ثلاث سنوات كما قال أبو هريرة نفسه ، فهذا من باب التقريب لا من باب الحصر ، فأبو هريرة لم يعلم أنه سيأتى فى آخر الزمان من يحصى عليه أيام صحبته ، ويتتبع مناقصه ويزدريه لفقره ، ويرى فى هذا لوناً من الهوان والذل . وإذا عرفنا أن غزوة خيبر كانت فى (محرم) من السنة السابعة ، أى فى أول تلك السنة واستمرت الغزوة نحو ثلاثين يوماً ، وأن أبا هريرة قدم المدينة على أشهر الروايات أيام فتح خيبر ، ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم عقبها أى فى العشر الأول من صفر . وأن وفاة رسول الله عليه الصلاة والسلام كانت يوم الاثنين (١٣ ربيع أول سنة ١١ للهجرة الموافق ٨ يونيو سنة ٦٣٣م)(٢) — إذا عرفنا ذلك — تبين أن أبا هريرة قد تشرف بصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع سنوات وثلاثة وثلاثين يوماً . وإذا أراد أبو هريرة من تصريحه بالسنوات الثلاث الحصر ، يكون قد رفع من صحبته وملازمته للرسول صلى الله عليه وسلم ما قضاه فى البحرين مع العلاء الحضرمى سنة ثمان للهجرة .

(١) فتح البارى : ٦/٢٨١ والبخارى بشرح السندى : ٣/٥٥ .

(٢) نور اليقين : ٢٧٤ .

٣ - على عهد النبي صلى الله عليه وسلم :

وصفه بالفقر وأنه من أهل الصفة الذين لا مأوى لهم ولا معين (ص ٥ - ٨) ونسى أو تناسى أن يبين أن أهل الصفة كانوا أضياف الإسلام ، وقفوا أنفسهم للجهاد فى سبيل الله وطلب العلم ، وكانوا صلة بين الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه وعامة المسلمين ، فإذا ما أراد أن يبلغ تنزيلا أو يجمع المسلمين دعا بعض أهل الصفة لينادوا فى المسلمين ويجمعوهم ، وكان أكثرهم من المهاجرين وفيهم كرام الصحابة ، وكان يحبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكرمهم ، وكثيراً ما كان يأكل معهم .

ثم عرض الكاتب جوع أبى هريرة وفقره ، وملازمته رسول الله صلى الله عليه وسلم بشبع بطنه ، وفى هذا كله لم ير براءة أبى هريرة وصفاء نفسه وحسن سريرته ، بل حاول أن يعرضه على القارىء عرض الفقير البائس ، المنقطع المتشرد الذى يستجدى الصحابة ويلازم الرسول فقط ليشبعه ، لم ير فى ذلك حرصه على العلم وعدم طمعه فيما فى يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصوره الجائع المتماوت من جوعه ، يريد فتات الموائد ، ويطلب الحياة الدنيا ، وأغمض الكاتب عينيه عن الروايات الثانية التى تبين حقيقة ملازمته للرسول عليه الصلاة والسلام ، وزهده فى الدنيا وانقطاعه لخدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم طلباً للعلم . وقد سأله رسول الله : «ألا تسألنى من هذه الغنائم التى يسألنى أصحابك» ؟ فقال أبو هريرة : أسألك أن تعلمنى مما علمك الله (١) .

ثم ذكر الكاتب ثناء أبى هريرة على جعفر بن أبى طالب لأنه كان للمساكين عوناً يكرمهم ويواسيهم . ويختم هذه الفقرة بقوله : (وما زالت الصفة موطن أبى هريرة الذى يطمئن إليه ليلا ونهاراً لا يأوى إلى ما سواها حتى ارتحل النبى صلى الله عليه وسلم من هذه الدار الفانية ، ولحق بالرفيق الأعلى ، وقبل ذلك لم يقم أبو هريرة بشىء يعود عليه بشبع بطنه سوى

---

(١) حلية الأولياء : ١/ ٣٨١ والبداية والنهاية : ٨/ ١١١ .

القعود فى طريق المارة ينزع إليهم بجوعه ، لا تحفزه مهمة ولا يذكر فى حرب ولا فى سلم) .

هكذا أراد أن يختم الكاتب حياة أبى هريرة فى عهد رسول الله . مهيناً ذليلا يستجدى أكف المارة . أمن العدالة ؟ أم من الحق ؟ أم من الوجدان العلمى والذوق الفنى الذى يدعيه الكاتب أن يصور أبا هريرة بهذه الصورة ؟ أبو هريرة الصحابى الذى ترك الدنيا وراءه ، وهاجر إلى رسول الله حباً فى الإسلام وطاعة لله ، ولازم النبى الكريم أربع سنوات لا يريد منه إلا العلم الطيب الكثير ، أبو هريرة الذى ترك الدنيا لأهلها ووقف نفسه للعلم وخدمة الرسول صلى الله عليه وسلم مقابل كلمات يعلمه إياها ومواعظ يؤدبه بها . أبو هريرة الذى عرفنا عفة نفسه وكرم أخلاقه وشهامته يوم أراد عمر أن يوليه على البحرين ثانية فأبى أن يقبلها بعد أن نزعت منه ، يصوره الكاتب الأمين تلك الصورة التى لا يرضاها له حق بل ينفيها الواقع والتاريخ .

* * *

٤ — على عهـــد الخليفتين :

يقول الكاتب فى (الصفحة ١٤ — ١٥ : ألممنا بأخبار الخليفتين واستقرأنا ما كان على عهدهما فلم نجد لأبى هريرة أثراً يذكر سوى أن بعثه عمر والياً على البحرين سنة إحدى وعشرين . فلما كانت سنة ثلاث وعشرين عزله . وولى عثمان بن أبى العاص الثقفى ، ولم يكتف بعزله ، حتى استنقذ منه لبيت المال عشرة آلاف زعم أنه سرقها من مال الله فى قضية مستفيضة) . ويحيلنا الكاتب إلى العقد الفريد .

أما أنه ألم بأخبار الخليفتين ، واستقرأ ما كان على عهدهما ، فلم يجد لأبى هريرة أثراً يذكر ، فهذا مجرد زعم وادعاء ، فإن أبا هريرة اشترك فى حروب الردة فى عهد أبى بكر رضى الله عنه ، فقد روى الإمام أحمد ما دار بين أبى بكر وعمر عن أبى هريرة وفيه (فلما كانت الردة قال عمر لأبى بكر تقاتلهم وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول كذا وكذا ؟ قال فقال أبو بكر : والله لا أفرّق بين الصلاة والزكاة ، ولأقاتلن من فرق بينهما ، قال — أبو هريرة — فقاتلنا معه فرأينا ذلك رشداً) (١)

وكان يعتز بموقف أبى بكر رضى الله عنه ويثنى عليه . فقد أخرج البيهقى وابن عساكر عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : والذى لا إله إلا هو . . لولا أن أبا بكر استخلف ما عبد الله تعالى ، ثم قال الثانية ، ثم قال الثالثة ، فقيل له : مه يا أبا هريرة ! فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجه أسامة بن زيد فى سبعمائة إلى الشام ، فلما نزل بذى خشب قبض النبى صلى الله عليه وسلم ، وارتدت العرب حول المدينة ، واجتمع إليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : رُدَّ هؤلاء ، تُوجه هؤلاء إلى الروم وقد ارتدت العرب حول المدينة ؟ فقال : والذى لا إله إلا هو لو جرت الكلاب بأرجل أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ما رددت جيشاً وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولا حللتُ لواء عقده . فوجه أسامة ، فجعل لا يمر بقبيل يريدون الارتداد إلا قالوا : لولا أن لهؤلاء قوة ما خرج مثل هؤلاء من عندهم ، ولكن ندعهم حتى يلقوا الروم ، فلقوهم فهزموهم وقتلوهم ، ورجعوا سالمين فثبتوا على الإسلام)(٢) .

وفى عهد عمر رضى الله عنه اشتغل فى طلب العلم والتعليم ورافق أمير المؤمنين فى حجه ، وحدثه حديث الريح عندما اشتدت بهم حين لم يذكر أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم آنذاك شيئاً فيها (٣) . كما اشترك فى وقعة اليرموك كما أسلفنا . فلم يحمل ذكر أبى هريرة فى عهد الخليفتين الراشدين إلا أن الكاتب لم يلم بأخبارهما كما ادعى . وأما ولايته على البحرين والرواية التى ذكرها ابن عبد ربه من غير سند ، ويستشهد بها المؤلف فيقول (ثم دعا أبا هريرة ، فقال له : علمت أنى استعملتك على البحرين . وأنت بلا نعلين ، ثم بلغنى أنك ابتعت أفراساً بألف دينار

---

(١) مسند الإمام أحمد : ١/ ١٨١ بإسناد صحيح .

(٢) البداية والنهاية ص ٣٠٥ جـ ٦ ، والخلفاء للسيوطى ص ٧٤ ، والكامل ص ٦٢ جـ ٢

(٣) مسند الإمام أحمد : ٤/ ٥٢١ رقم ٧٦١٩ بإسناد صحيح .

وستمائة دينار قال — (أبو هريرة) — كانت لنا أفراس تناتجت وعطايا تلاحقت ، قال : حسبت لك رزقك ومؤنتك . وهذا فضل فأده . قال : ليس لك ذلك . قال : بلى والله وأوجع ظهرك . ثم قام إليه بالدرة فضربه حتى أدماه . ثم قال : ائت بها . قال : أحتسبها (١) عند الله . قال : ذلك لو أخذتها من حلال وأديتها طائعاً . أجئت من أقصى حجر البحرين (٢) . يجبى الناس لك لا لله ولا للمسلمين ؟ ما رجَعَّت(٣) بك أميمة إلالرعية الحمر) (٤) . رأى المؤلف هذه الرواية توافقه فاستشهد بها . ولم يذكر الرواية التى بعدها مباشرة ، فليس فى تلك ضرب عمر لأبى هريرة . بل فيها ردّ أبى هريرة على عمر حين قال له : ياعدو الله سرقت مال الله ، قال أبو هريرة : ما أنا عدو الله وعدو كتابه ، ولكنى عدو من عاداهما . .

إن ما استشهد به المؤلف مجرد عن السند . فلو كان لروايته فى الأصل سند أمكننا أن نتعرف من خلاله مقدار صحتها . بينما وردت الرواية الثانية التى لم تنص على ضرب عمر لأبى هريرة فى مراجع كثيرة جداً بأسانيد صحيحة . فى حلية الأولياء وطبقات ابن سعد وتاريخ الإسلام والإصابة وفى عيون الأخبار . وقد ذكرت هذا فى ترجمته . فهذه الرواية التى استشهد بها المؤلف تردّ لأنها تخالف روايات أصح منها . ولو فرضنا صحتها ، فإن الرواية الثانية التى تلتها وليس فيها ضرب عمر لأبى هريرة . بل فيها مناقشة أبى هريرة عمر . وبيان طريق أمواله التى جمعها . ورده اتهامه الذى وجهه إليه ؛ أقول إن هذه الرواية تصحح ما قبلها . وتلقى ضوءاً عليها إذ فيها (فقبضها — الدراهم — منى فلما صليت الصبح استغفرت لأمير المؤمنين) .

إن أبا هريرة يستغفر لأمير المؤمنين الذى شاطره ماله ، وهو يعلم

(١و٢و٣و٤) فى العقد الفريد : ١/٣٤ : احتسبتها ... ومن أقصى حجر بالبحرين . ورجعت من غير تشديد الجيم . قال الكاتب فى هامش الصفحة (١٥) : (الرجع والرجيع العذرة والروث سميا رجيعاً لأنهما رجعا من حالتهما الأولى بعد أن كانا طعاماً وعلفاً .. وكلمة الخليفة هذه من أفظع كلمات الشتم) . أقول إن سوء فهم الكاتب للنص وهواه جعلاه يفسر هذه الكلمة بما فسر ، بينما الحقيقة ما رجعت أى ما عادت . والنص لا يحتمل أكثر من هذا التفسير . فلم هذا التحامل ؟ وهل هذا سبيل الباحث النزيه !! ؟ .

أن ما أخذه الأمير منه إنما هو عطاياه وأسهمه ، ومع هذا لم يحقد على عمر رضى الله عنه بل شعر فى نفسه أنه مظلو م ، فراح يستغفر لأميره . .

هذا إذا اعتبرنا صحة الرواية ، علماً بأن الروايات الأخرى تقول : (قال : فمن أين هى لك ؟ قلت : خيل نتجت ، وغلة رقيق لى ، وأعطية تتابعت علىّ ، فنظروا ، فوجدوه كما قال) (١) وفى بعضها أنه أخذ منه إثنى عشر ألفاً (٢) وأرجح أن عمر رضى الله عنه شاطره ماله ، كما شاطر غيره من الأمراء ، إلا أنه لم يضربه ، وفى الحقيقة إن ابن عبد ربه يقول : (ولما عزل عمر أبا موسى الأشعرى عن البصرة وشاطره ماله وعزل أبا هريرة عن البحرين وشاطرة ماله ، وعزل الحارث بن كعب بن وهب وشاطره ماله . . ودعا أبا موسى . . ثم دعا أبا هريرة . .) (٣) وقاسم عمر سعد بن أبى وقاص ماله حين عزله عن العراق (٤) ، فعمر لم يتهم أبا هريرة ولم يشاطره ماله وحده بل تلك كانت سياسته مع ولاته ، كى لا يطمع امرؤ فى مال الله ، ويحذر الشبهات ، وكان يعزل ولاته لا عن شبهة ، بل من باب الاجتهاد وحسن رعاية أمور المسلمين ، فلما عزل (المغيرة بن شعبة عن كتابة أبى موسى ، قال له : أعن عجز أم خيانة يا أمير المؤمنين ؟ قال : لاعن واحدة منهما ، ولكنى أكره أن أحمل فضل عقلك على العامة)(٥) .

وكتاب عمر رضى الله عنه إلى العلاء بن الحضرمى يؤكد سياسته مع جميع ولاته وعماله فقد جاء فى كتابه : (سر إلى عتبة بن غزوان — كان والياً على البصرة — فقد وليتك عمله ، واعلم أنك تقدم على رجل من المهاجرين الأولين الذين سبقت لهم من الله الحسنى لم أعزله ألا يكون عفيفاً صليباً شديد البأس . ولكننى ظننت أنك أغنى عن المسلمين فى تلك الناحية

---

(١) تاريخ الإسلام : ٣٣٨/٢ ، وحلية الأولياء : ٣٨٠/١ ، والبداية والنهاية : ١١١/٨ .

(٢) طبقات ابن سعد : ج ٤ ، القسم الثانى ص ٥٩ .

(٣) العقد الفريد : ٣٣/١ .

(٤) انظر طبقات ابن سعد ، ص ١٠٥ ، قسم ١ ، ج ٣ .

(٥) العقـد الفريد : ٦٠/١ .

منه ، فاعرف له حقه ، وقد وليت قبلك رجلا فمات قبل أن يصل ، فإن يرد الله أن تلى وليت ، وإن يرد الله أن يلى عتبة فالخلق والأمر لله رب العالمين . .) (١) .

أما أنه ضربه فإنه غير معقول لأن عمر رضى الله عنه يعرف مكانته ومنزلته ، وأما أنه أهانه وقال له : (استعملتك على البحرين وأنت بلا نعلين) ، فالواقع يكذب هذا لأن جميع المسلمين تحسنت أحوالهم أيام عمر ، وكثر عطاؤهم عندما فتحت البلاد المجاورة فأغدقت عليهم الغنائم والأموال الكثيرة . وإلى جانب هذا لم يرد فى الروايات الصحيحة المعتمدة شىء من ذلك .

وهناك ما يدل على عدم اتهام عمر لأبى هريرة ، ويدل على استقامته وأمانته ، وهو أن أمير المؤمنين عاد إلى أبى هريرة ، وطلب أن يستعمله ثانية على البحرين فأبى . وأن هذه الرواية تتمة ما نقله الكاتب . إلا أنه حذفها كى لا يظهر بطلان ما يدعيه ، وليتمم طعنه فى أبى هريرة وفيها (فقال لى بعد ذلك : ألا تعمل ؟ قلت : لا . قال : قد عمل من هو خير منك يوسف صلوات الله عليه . قلت : يوسف نبى وأنا ابن أميمة ، أخشى أن يشتم عرضى ، ويضرب ظهرى ، وينزع مالى) (٢) . هذا النص تتمه الخبر الذى رواه الكاتب وأبى أن يثبته للحقد الذى فى نفسه على راوية الإسلام ، وهذا النص يؤكد عدم ضرب عمر لأبى هريرة إذ لو صح أنه ضربه لقال له أبو هريرة : لن أعود بعد أن شتم عرضى وضرب ظهرى . وهكذا ثبتت براءة أبى هريرة مما تجناه عليه الكاتب .

* * *

ه — على عهد عثمان : (ص ١٦ — ٢١) :

لقد رأينا موقف أبى هريرة يوم الدار ، وكيف حث الناس على الدفاع عن أمير المؤمنين ، إلا أن عثمان رضى الله عنه منعهم من القتال .

---

(١) طبقات ابن سعد ، ص ٧٨ ، قسم ٢ ، ج ٤ .

(٢) العقد الفريد : ١/٣٤ — ٣٥ و ٦٠ .

وأجمعت كل الروايات على وجود أبي هريرة بين من دافع عن عثمان رضى الله عنه يوم الدار .

إلا أن المؤلف يصوره بالمنتهز المستغل لتلك الفتنة من أجل تحقيق مآربه وغاياته ، فيقول بعد ذلك : (وبهذا نال نضارة بعد ذبول ونباهة بعد خمول) ويقول: (وكان أبو هريرة على علم بأن الثائرين لايطلبون إلاعثمان ومروان ، وهذا ما شجعه على أن يكون فى المحصورين) . لا أدرى كيف قرأ سريرة أبي هريرة واطلع عليها ، وليس لنا إلا الظاهر ، فقد كان محصوراً فى الدار مع عبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير والحسن والحسين فكل افتراض يفترضه بالنسبة لأبي هريرة يفترض بالنسبة لمن كان معه فهل يقبل المؤلف هذا لسيدى شباب أهل الجنة ! ؟ .

ثم يقول: (ومهما يكن فقد اختلس الرجل هذه الفرصة فربحت صفقته وراجت سلعته ، وأكب بعدها بنو أمية وأولياؤهم على السماع منه فلم يأل جهداً فى نشر حديثه والاحتجاج به . وكان ينزل فيه على ما يرغبون) . ثم استشهد بأحاديث موضوعة على أبي هريرة وحمله وزر وضعها وهو لا يد له فيها . وعلق فى هامش (ص ١٨ و ١٩) (أن أولياء أبي هريرة يحيلون الآفة بها على رواة فى أسانيدها) . ويأبى هو إلا أن يجعل أبا هريرة وضاعاً وألعوبة فى أيدى الأمويين . والأمويون لم يظهروا بعد . . . ! ؟ .

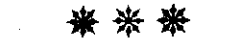

٦ — على عهد على (ص ٢١ — ٢٦) :

بينت فيما سبق اعتزال أبي هريرة جميع ما جرى من حوادث بعد استشهاد عثمان رضى الله عنه ، إلا أن المؤلف يأبى ألا أن يعتمد على روايات ضعيفة ليشرك أبا هريرة فى بعض هذه الحوادث ، وليته يكتفى بذلك ، بل يعرض ما يريد مستهزئاً مزدرياً . فيقول : (خفت صوت أبي هريرة على عهد أمير المؤمنين ، واحتبى برد الخمول ، وكاد أن يرجع إلى سيرته الأولى ، حيث كان هيان بن بيان ، وصلعمة بن قلعمة قعدا عن نصرة أمير المؤمنين فلم ينضو إلى لوائه ، بل كان وجهه ونصيحته إلى أعدائه) .

ثم ساق رواية واهية مفادها أن معاوية أرسل أبا هريرة والنعمان بن بشير ليفاوضا علياً ويأخذا قتلة عثمان إلى معاوية ، لتجتمع كلمة المسلمين بعدها : وأقام النعمان بن بشير عند على وعاد أبو هريرة إلى معاوية وأخبره بما حدث فى محاولتهما . قال المؤلف : (فأمره معاوية أن يعلم الناس ففعل ذلك وعمل أعمالا ترضى معاوية) وهذه الرواية لم ترو بسند صحيح قط ولم أجدها إلا فى نهج البلاغة .

ثم إن صحت الرواية فهل يعاب على أبى هريرة أن يكون وسيط خير وداعياً إلى جمع كلمة المسلمين ! ! ؟ وأما ما ذكره ابن قتيبة من قدوم أبى هريرة وأبى الدرداء على معاوية وعلى رضى الله عنهما ومناصحتهما معاوية لحقن دماء المسلمين ثم اتصالهما بعلى رضى الله عنه من أجل قتلة عثمان ، فإنها تدل على اعتزال أبى هريرة الفتنة ومحاولة جمع كلمة المسلمين ، بالرغم من ضعف هذه الرواية (١) .

ثم يقول الكاتب : (وحين حمى وطيس الحرب ورد على أبى هريرة من الهول ما هزم فؤاده وزلزل أقدامه ، وكان فى أول تلك الفتنة لا يشك فى أن العاقبة ستكون لعلى ، فضرب الأرض بذقنه قابعاً فى زوايا الخمول يثبط الناس عن نصرة أمير المؤمنين بما يحدثهم به سراً ، وكان مما قاله يومئذ : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم » ص : ٢٤) .

هل بعد هذا النص شك فى أن الكاتب متحامل على أبى هريرة ؟ إنه يدعى البحث العلمى والذوق الفنى ، ثم يسيره هواه أنى يشاء ضارباً بما ادعى عرض الحائط ! ! ويأبى أن يقبل ما دل من النصوص على اعتزال أبى هريرة جميع الحوادث ، التى دارت بين على ومعاوية رضى الله عنهما .

ويحاول الكاتب أن يستنتج من غزوة بسر بن أبى أرطأة الحجاز واليمن قبول أبى هريرة ولاية المدينة . فيقول : (وفى ختام هذه الفظائع أخذ

---

(١) الإمامة والسياسة : ٢/١٧٥ .

(بسر) البيعة لمعاوية من أهل الحجاز واليمن عامة ، فعندها باح أبو هريرة بما فى صدره واستراح إلى بسر بن أرطأة بمكنون سره ، فوجد بسر منه إخلاصاً لمعاوية ونصحاً فى أخذ البيعة له من الناس فولاه على المدينة حين انصرف عنها وأمر أهلها بطاعته ص : ٢٥) وهذا لم يثبت قط وقد بينت الصواب فيما سبق من حياة أبى هريرة (١) .

* * *

٧ — على عهد معاوية (ص ٢٦ — ٣١) :

قال الكاتب : (نزل أبو هريرة أيام معاوية إلى جناب مريع وأنزل آماله منه منزل صدق ، لذلك نزل فى كثير من الحديث على رغائبه فحدّث الناس فى فضل معاوية وغيره أحاديث عجيبة) ثم تكلم عن وضع الحديث فى عهد الأمويين وكثرة الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم . وادعى أن أبا هريرة كان فى الرعيل الأول من هؤلاء فحدّث بأحاديث منكرة ذكرها ابن عساكر وغيره ، وساق أحاديث موضوعة لايقبلها عقل ولايرضاها ضمير ، وضعها أتباع الأمويين بعد عهد معاوية ، نكاية بأتباع أمير المؤمنين علىّ رضى الله عنه ، وجميع ما ادعاه يعرف أهل السنة مفتريه ووضاعه ، ويقول الكاتب (ص٢٩—٣١: غير أنهم لم يجعلوا الآفة فيها من أبى هريرة نفسه وإنما جعلوها ممن نقلها عنه . . وكذلك فعلوا فى سائر ما صنعته يدا أبى هريرة مما ضاق ذرعهم . . وله فى صحيحى البخارى ومسلم أحاديث أفرغها على هذا القالب وحاكها على هذا المنوال) .

إن الكاتب يتهم أبا هريرة اتهامين خطيرين ؛ الأول أنه تشيع لبنى أمية ، والثانى أن حبه لبنى أمية حمله على وضع الحديث لهم (أى الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم) .

ولهذا يعقد فصلين من كتابه ليبين (أيادى بنى أمية عليه) ثم (تطوره

---

(١) انظر « أبو هريرة فى عهد على » من هذا الكتاب .

فى شكر أياديهم) وسنرد هذين الاتهامين بنقض حججه ، وبيان وجه الحق فى ذلك فنبدأ برد الشبهة الأولى .

أولا – هل تشيع أبو هريرة للأمويين :

إن أهل العلم جميعاً يعلمون أن أبا هريرة كان محباً لأهل البيت ، ولم يناصبهم العداء قط ، ومشهور عنه أنه تمسك بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فكان يحب من أحبه رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وأبو هريرة هو الذى كشف عن بطن الحسن بن على رضى الله عنهما وقال : أرنى أقبل منك حيث رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يُقبِّل ، وقبَّل سُرَّته (١) .

ثم إن أبا هريرة لم يكن دائماً على صلة حسنة بمعاوية ، فقد كان يعزله عن المدينة ويعين مروان بن الحكم ، ومن العجيب أن يدعى إنسان نهل من العلم بعضه أن أبا هريرة يكره علياً وأهله ، بعد أن يسمع ما دار بين مروان بن الحكم وأبى هريرة ، حين أراد المسلمون دفن الحسن مع النبى صلى الله عليه وسلم . فكان مما قاله : (والله ما أنت بوال ، وإن الوالى لغيرك فدعه ، ولكنك تدخل فيما لا يعنيك ، إنما تريد بهذا إرضاء من هو غائب عنك . يعنى معاوية . .) ! ! (٢) ولكن الكاتب المتحامل على أبى هريرة والذى امتلأ قلبه ضغناً وحقداً عليه يرى هذا مجرد رياء ومؤامرة مدبرة بينهما . ! ! (٣) ونرى أبا هريرة ينكر على مروان بن الحكم فى مواضع عدة ، فهل هذا الإنكار أيضاً من باب المؤامرات التى يدبرها مروان وأبو هريرة لمخادعة العامة – كما زعم مؤلف كتاب (أبو هريرة) ؟، لقد أنكر عليه عندما رأى فى داره تصاوير فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يقول الله عز وجل : « ومن أظلم ممن ذهب يخلق

---

(١) مسند الإمام أحمد : ١٣/١٩٥ ، رقم ٧٤٥٥ .
(٢) البداية والنهاية : ٨/١٠٨ .
(٣) انظر أبو هريرة لعبد الحسين : ٤٠ – ٤١ .

خلقاً كخلقي ! فليخلقوا ذرّة » (١) وأبطأ مروان بن الحكم يوماً بالجمعة فقام إليه أبو هريرة فقال له : (أتظل عند ابنه فلان تروِّحك بالمرواح وتسقيك الماء البارد ، وأبناء المهاجرين والأنصار يصهرون من الحر ؟ لقد هممت أن أفعل وأفعل ، ثم قال : اسمعوا من أميركم) (٢) فهل هذا موقف المتشيع لبني أمية ، النازل على رغباتهم في الحديث ، الداعي لهم ! ! أم أن هذا موقف ملتزم الحق ؟ إنه أنكر على الأمير تأخره ، وحفظ له حقه فأمر المسلمين بالسماع إليه . وهذا دليل آخر على مكانة أبي هريرة بين المسلمين . فلو كان حقيراً مهيناً ما سمع منه المسلمون وما تحمله مروان . ومع هذا فإن المؤلف لكتاب (أبو هريرة) قد يرى في هذه القصة لوناً جديداً من المؤامرات لتثبيت ملك الأمويين كما يتخيل المؤلف أبا هريرة في تفكيره وعلمه وذوقه الفني ، واستنتاجه واستقرائه . . ! !

وكان يجدر بالمؤلف أن يتهم أبا هريرة بالتشيع لأهل البيت ، لما روى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في مناقبهم ومدحهم مما ورد في صحاح السنة المطهرة(٣) ، وهذا أولى له من أن يتتبع الأحاديث الضعيفة ، والموضوعة على أبي هريرة في مدح الأمويين ، ليتهمه بموالاتهم وتأييدهم ، بالرغم من وضوح وضع تلك الأحاديث ، ومعرفة الكذبة الواضعين لها . وجلاء أمرهـا . .

ولو كان أبو هريرة متشيعاً للأمويين لأبى أن يروى بعض فضائل أهل البيت ، وبوجه خاص فضائل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ، ولكن شيئاً من هذا لم يقع ، وكان أبو هريرة أسمى وأعلى من أن يكتم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لميل أو هوى ، وأرفع من أن يكذب على حبيبه الصادق المصدوق محمد صلى الله عليه وسلم ، وإننا

---

(١) مسند الإمام أحمد : ١٤٨/١٢ ، رقم ٧١٦٦ بإسناد صحيح ورواه البخاري .

(٢) العقد الفريد : ٤٢/١ .

(٣) انظر مسند الإمام أحمد ص ١٢٩ ، حديث ٧٣٩٢ . وص ١٩٥ ، رقم ٧٤٥٥ ج ١٣ . وص ٦٩ ، حديث ٧٦٣٦ . وص ٢٦٠ ، حديث ٧٨٦٣ ، ج ١٤ . وفتح الباري ص ٧٦ و ٩٥ ، ج ٨ . وقد ذكرت هذا مما حضرني ، وليس على سبيل الحصر .

نراه يروى فى فضائل على مالا يخفى ، من هذا ما أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه بسنده عن أبى هريرة : (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر : « لأعطين هذه الراية رجلا يحب الله ورسوله . يفتح الله على يديه » . قال عمر بن الخطاب : ما أحببت الإمارة إلا يومئذ ، قال : فتساورت لها (١) رجاء أن أُدعى لها . قال : فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب ، فأعطاه إياها ، وقال : « امش ، ولا تلتفت . حتى يفتح الله عليك » . قال : فسار على شيئاً ثم وقف ولم يلتفت . فصرخ : يا رسول الله ! على ماذا أُقاتل الناس ؟ قال : « قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . فإذا فعلوا ذلك ، فقد منعوا منك دماءهم ، وأموالهم . إلا بحقها . وحسابهم على الله » (٢) .

إننا نرى المنصفين من أهل العلم لم يتهموا أبا هريرة — لروايته هذا الحديث — بالتشيع لعلى رضى الله عنه ، وبالعداء لأمير المؤمنين عمر ابن الخطاب ، فأبو هريرة لا يتحزب لأحد ولا يمالىء أحداً ، ولا يسير وراء هوى متبع أو شهوة جامحة ، إنما هو ذلك الصحابى العظيم الذى عرفنا استقامته وعدالته ، وتقراه وورعه وأمانته .

وقد نصور المؤلف جميع ما بين يدى أبى هريرة من نعمة وخير هى أفضال الأمويين عليه ، وإكرام منهم له ، لما بذله فى سبيل تدعيم ملكهم ! ! ونسى أو تناسى أن أبا هريرة كان يحب العمل إلى جانب حبه العلم ، ونسى ما كان له من أعطيات وتجارة ، كما نسى أنه ولى البحرين للخليفة عمر ابن الخطاب رضى الله عنه ، وبين له مورد ماله الذى جاء به ، بل رأى أن جميع ما بين يديه من منح بنى أمية له ، فهم الذين كسوه الخز ، وألبسوه الكتان ، وبنوا له فى العقيق قصراً ، وهم الذين زوجوه بسرة بنت غزوان ، أخت الأمير عتبة بن غزوان ، ويستشهد لذلك بما رواه مضارب بن حزن

---

(١) فتساورت لها : معناه تطاولت لها . أى حرصت عليها ، أى أظهرت وجهى وتصديت لذلك ليتذكرنى . انظر صحيح مسلم ، ص ١٨٧٢ ، هامش ١ ، ج ٤ .

(٢) صحيح مسلم ، ص ١٨٧١ ، حديث ٣٣ ، ج ٤ .

حين سمع أبا هريرة يكبّر فى الليل ، قال مضارب : (بينا أنا أسير تحت الليل ، إذا رجل يكبّر ، فألحقه بعيرى ، فقلت من هذا ؟ قال أبو هريرة . قلت : ما هذا التكبير ؟ قال : شكر . قلت : على مه ؟ قال : كنت أجيراً لبسرة بنت غزوان بعُقبة(١) رجلى ، وطعام بطنى ، وكانوا إذا ركبوا سقت بهم ، وإذا نزلوا خدمتهم ، فزوجنيها الله ! ! فهى امرأتى) (٢) .

فأبو هريرة يشكر الله عز وجل على نعمه وتوفيقه لزواجه من بسرة ، وأى شيء فى هذا ؟ أى شيء أكثر من طيب نفس أبى هريرة وصفائها ، ورضائها بما قسم الله له . واحترامه لأنعم الله تعالى ، وتواضعه وتذكره ما كان عليه وإقراره بفضل الله عز وجل عليه . ولكن المؤلف استغل طيب نفس أبى هريرة للتشهير به ، ورأى فى كل ذلك مادة غزيرة يشوهها كما يحب ويرضى .

وفى هذا كله يرى أن الأمويين استعبدوه ببرهم (فملكوا قياده ، واحتلوا سمعه وبصره وفؤاده ، فإذا هو لسان دعايتهم فى سياستهم ، يتطور فيها على ما تقتضيه أهواؤهم .. ص ٣٥) .

هكذا أراد المؤلف أن يصوِّر أبا هريرة ، الذى عرفنا اعتزاله الفتن ، وسيره مع الحق ، ومناصحته للمسلمين ، وحبه لأهل البيت .

وهكذا يأبى الله إلا أن يقوِّض ما حاكه أعداء أبى هريرة من شبهات ضده ، ويكشف النقاب عن وجه الحق ، ليزهق الباطل ، وصدق الله العظيم إذ يقول : « **بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه** » (٣) .

❋ ❋ ❋

ثانياً — هل وضع أبو هريرة الأحاديث كذباً على رسول الله ؟

لقد افترى المؤلف على أبى هريرة افتراءات لا يتصورها إنسان من مستشرق متجاهل أو من عدو متحامل ، قال : (فتارة يفتئت الأحاديث

---

(١) العقبة ، أى نوبة ركوبه .
(٢) سير أعلام النبلاء ، ص ٤٤٠ ، ج ٢ .
(٣) الأنبياء : ١٨ .

فى فضائلهم ، . . . وتارة يلفق أحاديث فى فضائل الخليفتين ، نزولا على رغائب معاوية وفئته الباغية ، إذ كانت لهم مقاصد سياسية ضد الوصى وآل النبى . . وحسبك حديثه فى تأمير أبى بكر على الحج سنة براءة — وهى سنة تسع للهجرة — وحديثه فى أن عمر كان محدثاً تكلمه الملائكة (١) . وقد اقتضت سياسة الأمويين فى نكاية الهاشميين تثبيت هذين الحديثين وإذاعتهما بكل ما لمعاوية وأعوانه . . من وسيلة أو حيلة . . حتى أخرجتهما الصحاح . . وتارة يقتضب أحاديث ضد أمير المؤمنين جرياً على مقتضى تلك السياسة كقوله : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لم تحبس الشمس أو ترد لأحد إلا ليوشع بن نون ليالى سار إلى بيت المقدس » .. ص ٣٦ — ٣٧) .

لقد سيطر على المؤلف هواه ، حتى أصبح لا يرى فى أبى هريرة إلا الكذوب الوضاع ، فتنكب سبيل الحق ، وقذف الصحابة بالكذب ، وتجاهل ما أجمع عليه المؤرخون الثقات ، واعتمد على روايات الضعفاء ، فكان كلام الطبرسى عنده كالتنزيل الحكيم . وضرب بصحاح الكتب عرض الحائط ، فيحاول طمس الحق ، وتحريف الصواب ؛ وإنى قبل أن أجيب عن زعمه أن الرسول صلى الله عليه وسلم عزل أبا بكر عن ولاية الحج أتساءل كيف حبست الشمس أو ردت لأمير المؤمنين على رضى الله عنه ؟ وهل أمسكت الشمس عن الغروب ليتمكن رضى الله عنه من أداء صلاة العصر فى وقتها ؟ إن هذه معجزات لا تكون فى كل وقت ، ولا يمن الله بها إلا على رسله ! ! ثم لِمَ تُرد الشمس له أو تمسك . ويمكنه أن يقضى الصلاة ! ! والصحاح لم تذكر شيئاً عن هذا الخبر ، فأترك للمؤلف أن يبين لنا كيف حبست الشمس ومتى كان ذلك علنا نفيد منه ؟ لقد ادعى هذا قبله ابن المطهر الحلى ، ورد عليه ابن تيمية رداً قوياً ، وبيّن كذب هذا الادعاء (٢) .

---

(١) يشير إلى حديث أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون ، فإن يك فى أمتى أحد فإنه عمر) . فتح البارى : ٤٩/٨ . محدث بفتح الدال : أى ملهم وصادق الظن ، يجرى الصواب على لسانه ، والتاريخ يشهد لعمر بهذا فى أمور مشهورة .

(٢) المنتقى من منهاج الاعتدال ، ص ٥٢٤ وما بعدها .

وأما حديث أبي هريرة في تأمير أبي بكر على الحج سنة براءة ، فإنه جاء من طرق كثيرة لا يرقى إليها الشك ، ولا يتناولها الظن ، والمؤرخون مجمعون على أنه كان أمير الحج ذلك العام ، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم بعث علياً بأول براءة ، ليقرأها على الناس ، وقد سأل أبو بكر علياً عندما أتاه : هل استعملك رسول الله — صلى الله عليه وسلم — على الحج ؟ قال : لا ولكن بعثني أقرأ أو أتلو براءة على الناس(١) . ويقول الإمام الشافعي : (بعث رسول الله أبا بكر والياً على الحج في سنة تسع ، وحضره الحج من أهل بلدان مختلفة ، وشعوب متفرقة ، فأقام لهم مناسكهم ، وأخبرهم عن رسول الله بما لهم وما عليهم ، وبعث عليّ بن أبي طالب في تلك السنة فقرأ عليهم في مجمعهم يوم النحر آيات من سورة (براءة) ، ونبذ إلى قوم على سواء ، وجعل لهم مُمداً ونهاهم عن أمور) (٢) .

ولكن المؤلف — الذي اتبع المنهج العلمي ، والذوق الفني السليم ، كما ادعى — أبى إلا أن يساير أصول عقيدته ، ورفض هذه الروايات ، وقبل رواية الطبرسي وفيها أنه أعطى علياً أول براءة (وعهد إليه بالولاية العامة على الموسم ، وأمره بأن يخير أبا بكر بين أن يسير مع ركابه أو يرجع إلى المدينة)(٣) .

الأول : أنها شاذة ومنكرة لمخالفتها الروايات الصحيحة الموثوق بها .

الثاني : أنها غير مسندة فلا تقوم دليلا ؛ وكيف نحكم بصحتها ، ونقبلها من غير أن نعرف الأمناء الذين نقلوها إلينا ؟ .

ولو فرضنا أنها صحيحة السند ، ولم يذكره الكاتب ، فهي مردودة من

---

(١) سيرة ابن هشام : ٢٠١/٤ . وانظر البخاري بشرح السندي : ٧٦/٣ . حج أبي بكر بالناس سنة ٩ .

(٢) الرسالة : ٤١٤ ، رقم الفقرة : ١١٣٣ و ١١٣٤ . وانظر المنتقى من منهاج الاعتدال ، ص ٣٤٠ حيث يرد ابن تيمية على الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر الحلي ، (٦٤٨ — ٧٢٦هـ) ، وينقض ما ادعاه من عدم تولية الرسول صلى الله عليه وسلم لأبي بكر إمارة الحج سنة تسع . وانظر ص ٤٩٧ و ٥٣٩ منه .

(٣) أبو هريرة لعبد الحسين : ١٦٢ عن مجمع البيان : ٣/٣ .

حيث المتن ، لأنها تخالف إجماع الروايات الموثوق بها ، التى لم يستشهد بها المؤلف (١) ثم حاول الكاتب أن يدعم رأيه هذا بروايات ضعيفة تطعن فى كبار الصحابة ، وهى تتنافى مع المنطق السليم ، ويرفضها الذوق الفنى ، ويردها المنهج العلمى ، ويدحضها الواقع التاريخى بما يعارضها وينفى صحتها . فمما استشهد به ما رواه عن ابن عباس فى الصفحة (١٦٦) من كتابه قال : (قال مرة : إنى لأماشى عمر بن الخطاب فى سكة من سكك المدينة إذ قال لى : يا ابن عباس ما أرى صاحبك إلا مظلوماً ، قال : فقلت فى نفسى : والله لا يسبقنى بها . فقلت له : يا أمير المؤمنين : فاردد إليه ظلامته ، فانتزع يده من يدى ومضى يهمهم ساعة ، ثم وقف فلحقته ، قال : يا ابن عباس ، ما أظنهم أنهم منعهم عنه إلا أنهم استصغروه ، فقلت : والله ما استصغره الله ورسوله حين أمره أن يأخذ براءة من صاحبك ، فأعرض عنى وأسرع الحديث) .

إن هذا الخبر مردود من وجوه ينطق بها النص نفسه ، منها :

أولا : متى ماشى الخليفة الفاروق ابن عباس رضى الله عنهما ؟ ومتى دار بينهما هذا الحوار ؟ يفهم من النص أن هذا الحادث كان فى خلافة عمر رضى الله عنه أى بين سنة (١٣ و ٢٣) فإن كان خطابه هذا فى أول خلافته — أى حين كان عمر ابن عباس ست عشرة سنة وعمر أمير المؤمنين ثلاثاً وخمسين سنة ، لأن عمر ولد قبل الهجرة بأربعين سنة ، وابن عباس ولد قبلها بثلاث سنين — فهو غير معقول ، ولا يتصور أن يناقش عمر رضى الله عنه ابن عباس — وهو فتى يافع فى مقتبل العمر — فى أمور الخلافة ، وفى الأمة أكابر الصحابة ! !

وإن كانت الحادثة فى آخر عهد عمر رضى الله عنه يكون له ثلاث وستون سنة ولابن عباس ست وعشرون سنة ، يبعد معها أن تجرى مثل هذه

---

(١) انظر مسند الإمام أحمد : ٣٢/٢ رقم ٥٩٤ وصفحة ٣١٩ رقم الحديث : ١٢٨٦ . وسيرة ابن هشام والبخارى والرسالة المذكورين آنفاً . وتاريخ الطبرى : ٣٨٢/٢ .

المناقشة بينهما ، لما عرف من أدب ابن عباس ووقار عمر ؛ ورجوعه إلى الحق .

ثانياً : إن علائم الوضع ظاهرة على هذا الخبر ، ذلك لأن علياً رضى الله عنه لم تقم له بعد جماعة وأصحاب ، حتى يقول أمير المؤمنين عمر لابن عباس : (ما أرى صاحبك إلا مظلوماً) ولِمَ كان مظلوماً؟ وما هى المناسبة التى تدعو أمير المؤمنين لأن يتعطف ابن عباس ويسرِّى عنه باعترافه بظلامة أبى الحسن ؟ .

ثم هل يتصور من عمر أن يعرف ظلامة لإنسان ولا يردها ؟ وكيف يكون هذا ولا يرد ظلامة صاحبه على رضى الله عنهما ؟ .

ولو سلَّمنا بوقوع هذه المحاورة ، فمن هؤلاء الذين ظلموه ؟ ومن يعنى فى قوله : (ما أظنهم منعهم عنه إلا أن استصغروه) ؟ .

ثم من الذين منعوا عنه الخلافة ، ومن الذى استصغره ، وهل كان صغيراً حقاً ؟؟ لم يمنع أحد الخلافة عنه أيام بيعة الصديق ، بل أجمع الناس على خلافة أبى بكر ، ولم يبد على رضى الله عنه أى استياء منها وسرعان ما أعلن بيعته ؛ ولا يمكن أن يقصد عمر بقوله هذا أحقية على رضى الله عنه بالخلافة من الصديق ؛ والتاريخ دليل على ما ذهب إليه جمهور المسلمين . ثم إن علياً نفسه لم يكن صغيراً آنذاك ، وكما وافق على خلافة أبى بكر وافق على خلافة عمر وأعلن بيعته ؛ والإمام على نفسه يشهد للعمرين بمكانتهما فيدحض كل افتراء وكذب ، وينقض ما ورد فى هذا الخبر . ويأبى الله إلا أن يظهر الحق على لسان ابن عباس رضى الله عنهما ، الذى أُلفِّقَ ذاك الخبر على لسانه . قال ابن عباس رضى الله عنهما : وضع عمر على سريره فتكنفه الناس ، يدعون ويصلون قبل أن يرفع وأنا فيهم ، فلم يرعنى إلا رجل آخذ بمنكبى ، فإذا على بن أبى طالب فترحم على عمر وقال : ما خلّفت أحداً أحب إلىّ أن ألقى الله بمثل عمله منك . وايم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك ، وحسبت أنى كنت كثيراً أسمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « ذهبت أنا وأبو بكر وعمر ، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر

وخرجت أنا وأبو بكر وعمر » (١) . فرضى الله عن الصحابة جميعاً وأرضاهم ، فقد كانوا خير قدوة للناس فى حياتهم واخوتهم ، ولكن أهل الأهواء أبوا ألا أن يبعدوا الشقة بينهم ، ويصطنعوا الخلافات ، ويستغلوا بعض الحوادث ، يدفعهم إلى ذلك الضغائن والحقد الذى فى نفوسهم ضد الإسلام والمسلمين ، كل ذلك لتفريق الكلمة وتحقيق مآربهم وإشباع ميولهم .

---

(١) فتح البارى : ٤٧/٨ . والأخبار التى تعارض ما رواه مؤلف كتاب (أبو هريرة) وتثبت حب على رضى الله عنه للخلفاء الثلاثة ، وعدم إنكاره لخلافتهم أو اعتبار نفسه خصماً لهم يريد رد ظلامته ، أقول إن هذه الأخبار كثيرة جداً منها : ما ذكره السيوطى قال : « أخرج ابن عساكر عن الحسن قال : لما قدم على على البصرة قام إليه ابن الكواء ، وقيس ابن عبادة فقالا : ألا تخبرنا عن مسيرك هذا الذى سرت فيه تتولى على الأمة تضرب بعضهم ببعض ؟ أعهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم عهده إليك ؟ فحدثنا فأنت الموثوق المأمون على ما سمعت فقال : أما أن يكون عندى عهد من النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى ذلك فلا ، والله لئن كنت أول من صدق به ، فلا أكون أول من كذب عليه ، ولو عندى من النبى صلى الله عليه وسلم عهد فى ذلك ما تركت أخا تيم بن مرة ، وعمر بن الخطاب يقومان على منبره ولقاتلتهما بيدى ولو لم أجد إلا بردى هذا ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقتل قتلا ، ولم يمت فجأة ، مكث فى مرضه أياماً وليالى يأتيه المؤذن فيؤذنه بالصلاة فيأمر أبا بكر فيصلى بالناس وهو يرى مكانى ، ثم يأتيه المؤذن فيؤذنه بالصلاة ، فيأمر أبا بكر فيصلى بالناس ، وهو يرى مكانى ، ولقد أرادت امرأة من نسائه أن تصرفه عن أبى بكر فأبى وغضب ، وقال : « أنتن صواحب يوسف . مروا أبا بكر يصلى بالناس » فلما قبض الله نبيه صلى الله عليه وسلم نظرنا فى أمورنا فاخترنا لدنيانا من رضيه نبى الله لديننا . وكانت الصلاة أصل الإسلام وقوام الدين ، فبايعنا أبا بكر ، وكان لذلك أهلا لم يختلف عليه منا اثنان . . فلما قبض تولاها عمر ، فأخذنا بسنة صاحبه ، وما يعرف من أمره ، فبايعنا عمر ، ولم يختلف عليه منا اثنان ، فلما قبض تذكرت فى نفسى قرابتى وسابقتى وسالفتى وفضلى ، وأنا أظن أن لا يعدل بى . ولكن خشى ألا يعمل الخليفة بعده ذنباً إلا لحقه فى قبره ، فأخرج منها نفسه وولده ، ولو كانت محاباة منه لآثر بها ولده ، فبرىء منها إلى رهط من قريش ستة أنا أحدهم ، فلما اجتمع الرهط ظننت ألا يعدلوا بى ، فأخذ عبد الرحمن بن عوف مواثيقنا على أن نسمع ونطيع لمن ولاه الله أمرنا ، ثم أخذ بيد عثمان ابن عفان ، وضرب بيده على يده فنظرت فى أمرى فإذا طاعتى قد سبقت بيعتى ، وإذا ميثاق قد أخذ لغيرى ، فبايعنا عثمان فأديت له حقه ، وعرفت له طاعته ، وغزوت معه فى جيوشه ، وكنت آخذ إذا أعطانى وأغزو إذا أغزانى وأضرب بين يديه الحدود بسوطى . فلما أصيب نظرت فى أمرى ، فإذا الخليفتان اللذان أخذاها بعهد رسول الله إليهما بالصلاة قد مضيا ، وهذا الذى أخذ له الميثاق قد أصيب فبايعنى أهل الحرمين وأهل هذين المصرين ، فوثب فيها من ليس مثلى ولا قرابته كقرابتى ، ولا علمه كعلمى ، ولا سابقته كسابقتى ، وكنت أحق بها منه . اهـ » انظر تاريخ الخلفاء القائمين بأمر الأمة للسيوطى : ١١٩ .

obeikandi.com

ومعاذ الله أن يروى ابن عباس ذاك الخبر ، ولكن يد الوضع صنعته ، لتثبت بالفقرة الأخيرة منه أحقية على رضى الله عنه بالخلافة . . ولتثبت ولايته العامة على الحج سنة براءة .

ثالثاً : إن هذا الخبر لم يرد فى كتاب موثوق به ، وقد نقله الكاتب عن كتاب (الموفقيات) للزبير بن بكار المشهور . وهو ثقة قد ألف تاريخه هذا للموفق بالله بن المتوكل الخليفة العباسى . إلا أنه لم يذكر إسناده فسقط الاحتجاج به .

وهكذا تبين لنا ضعف هذا الخبر سنداً ومتناً : إلا أن المؤلف لم يأخذ ما ذكرناه مأخذاً سليما ولم يعتبره ، ورأى فى هذا الخبر ما يشفى غليله ، ويشبع رغبته بتوجيه الطعن ، لا إلى أبى هريرة وحده ، بل إلى الخليفتين الراشدين رضى الله عنهم جميعاً ، فعقب على تلك الرواية بقوله : (فلله أبوه ! كيف استظهر على الخليفة بهذه الحجة البالغة . فأخذه من بين يديه ومن خلفه ومن جميع نواحيه حتى لم يبق فى وسعه أن يثبت فأعرض وأسرع . ولو أن صاحبه كان هو الأمير فى ذلك الموسم — كما زعم أبو هريرة — ما لاذ إلى الإسراع بل كانت له الحجة على ابن عباس . وعمر كان مع أبى بكر إذ توجه ببراءة . وإذ رجع من الطريق فهو من أعرف الناس بحقائق تلك الأحوال) (١) .

هذه إحدى النتائج التى يرمى إليها الكاتب من وراء ذاك الخبر ؛ ولكن ابن عباس لم يأخذ الخليفة من بين يديه ومن خلفه ومن جميع نواحيه ، لأن شيئاً من هذا كله لم يكن ، وإنى على يقين من عدم صحة ذاك الخبر الذى بينت ضعفه . ومنافاته للذوق السليم والمنطق والمنهج العلمى ، لوجود روايات صحيحة ثابتة ترده . وتقوم حجة على المؤلف . وتبرىء ابن عباس مما ألصق به ، وتنزه الخلفاء الثلاثة عن تلك التهم الباطلة التى وجهت إليهم . وتثبت مقام على رضى الله عنه وحبه لهم . وتنفى كل افتراء عليه وعليهم . وإن

---

(١) أبو هريرة لعبد الحسين : ١٦٨ .

هذا الروايات ستأخذ الكاتب من بين يديه ، وتسد عليه كل منفذ ، وتقوّض كل حجة يدعيها فى هذا الموضوع .

ثم يتابع الكاتب عرض بعض الأخبار ، ليدعّم ما ذهب إليه من ولاية أمير المؤمنين على رضى الله عنه للحج سنة براءة ، وإن جميع ما استشهد به مطعون فى صحته ، والصحيح منه ينص فقط على إرسال أمير المؤمنين على رضى الله عنه بأول براءة . ثم يستنتج المؤلف بعد هذا ما يأتى فيقول : (ألا تراه كيف حرّف الحديث عن موضعه ، وصرف الفضل فيه عن أهله ، متقرباً فيما حرّف إلى أولياء الأمور ، ومتحبباً فيما صحّف إلى سواد الجمهور ، اختلق لهم ما يروقهم من تأمير أبى بكر الصديق . وما أدراك ما فعل ! ؟ إنه أخرس بذلك ألسنة الثقات الأثبات عن معارضته ، وألجم أفواههم أن تنبس فى بيان الحقيقة ببنت شفة ، خوفاً من تألب العامة رعاع الناس ، وإشفاقاً من نكال أولى الأمر ووبالهم يومئذ ؟ وما أدراك ما يومئذ ! ؟) (١) .

إنه يتهم أبا هريرة بتحريف الحديث عن موضعه ، لأنه لم يختلق حديثاً يتمشى مع هوى المؤلف ، ويوافق ميوله وما يصبو إليه ، ويدعى أنه انتقص الإمام ، وصرف عنه ذلك الفضل الذى ادعاه فى رواية الطبرسى ؛ كل هذا فعله أبو هريرة ليتقرب إلى الأمويين ؟ ! وليتقرب إلى سواد الجمهور بما يروقهم ؛ عجب من المؤلف كيف يدّعى هذا ! !؟ ولِمَ يرض أبو هريرة الجمهور ، ويكذب على الرسول من أجل ذلك ؟ أيخشى أبو هريرة الجمهور ولا يخشى الله ورسوله ؟ هذا افتراء على أبى هريرة ، وافتراء على الحق ، واستخفاف بجمهور المسلمين . وزعم واضح منه أنهم على غير صواب فيما يعتقدون ، وعلى غير هدى فيما يعرفون ، إنه يتهم الجمهور فى هذا ويجعلهم ممن يمالئون السلطان . . وينساقون كما يريد . . ويتحامل على أولى الأمر فيصورهم بالمستبدين الغاشمين الطاغين . عجب من المؤلف

---

(١) أبو هريرة لعبد الحسين : ١٨٠ .

كيف يريد أن يقلب الحقائق التاريخية التى عرفها كل إنسان آنذاك ، وعاصرها كثير من المسلمين . فيجعل أبا هريرة كذاباً يضع ما يروق للجمهور ! ! فهل الجمهور على خطأ فى معرفتهم أم أن بعض أهل الأهواء الذين دفعتهم ميولهم وأهواؤهم إلى الكذب والتلفيق وقلب الحقائق هم المخطئون ! ! ؟ إن الواقع والبحث العلمى شىء والانسياق وراء العاطفة والهوى شىء آخر ، فللمرء أن يميل إلى أى مبدأ أو إلى أى شخص . وله أن يحبه أو يكرهه ، ولكن لا يجوز بأى شكل أن يحرف الحقيقة ، ويخالف الواقع ، فأبوهريرة لم يكذب فى هذا الخبر ولا فى غيره . والجمهور فى تأمير أبى بكر على الحج لم يختلقوا أخباراً من عندهم . إنما كانوا على الحق والصواب ، لأنهم عاصروا ذلك وعرفوه ورفضوا كل خبر ينافى الحقيقة التاريخية الصادقة. وهم فى اعتقادهم هذا وأبو هريرة فى خبره لم يمنعوا أحداً من أن يقول ما يعرف وما يعتقد . وقد كانت الحرية عامة ، وكان المسلمون على جانب عظيم من الجرأة فى الحق . حتى إن بعض النساء كن يناقشن الخلفاء ويستدركن عليهم . والتاريخ يشهد بهذا . ولو كان أبو هريرة غير صادق فى خبره لانبرت ألسنة الحق تقوِّمه وترده إلى الصواب . وقد كان فى الأمة أكابر الصحابة وعلماؤهم . ممن اعتزلوا الفتن . فلم يرد قط رد أحد منهم على أبى هريرة . وأكثر من هذا لم ينفرد أبو هريرة برواية هذا الخبر . بل رواه كثيرون . حتى إن ابن سعد عندما يروى ذلك يقول (قالوا) (١) وقد رواه ابن عمر (٢) وأبو جعفر محمد بن على رضوان الله عليهم (٣) وغيرهم . فهل هؤلاء جميعاً وضعوا الخبر تقرباً إلى أولياء الأمور ! ! ؟ وأكثر من هذا اعتراف الإمام على رضى الله عنه بولاية أبى بكر العامة على الحج (٤) أفبعد هذا يحاول امرؤ أن يقلب الحقائق ويحرِّف النصوص . ويطعن فى أكابر الصحابة وفى علمائهم ! ! ؟

---

(١) طبقات ابن سعد : ٢ : ١/١٢٠ .

(٢) طبقات ابن سعد : ٣ : ١/١٢٥ .

(٣) سيرة ابن هشام : ٤/٢٠٣ . وانظر تاريخ الطبرى : ٢/٣٨٢ .

(٤) انظر سيرة ابن هشام ٤/٢٠٣ ، وتاريخ الطبرى ٢/٣٨٢ .

ثم يستنتج الكاتب ما يلى فيقول : (أراد أبو هريرة بحديثه هذا أن يجتاح المقام المحمود الذى رفع الله ورسوله يومئذ سمكه مقام أمير المؤمنين فى ذلك الموسم ، إذا كان يرمى إلى أمرين . أحدهما أن المهمة التى جاء بها على إنما كان أمرها بيد أبى بكر الصديق بسبب إمارته على الحج وولايته العامة تلك السنة على الموسم ، وأن أبا بكر لم يكتف بعلى فى أداء المهمة حتى بعث أبا هريرة (١) فى رهط من أمثاله الأقوياء الأشداء . . وحسبك فى تزييف هذا أن الله تعالى لم ير أبا بكر نفسه أهلا لأداء هذه المهمة فأرجعه عنها . .)(٢) هكذا أراد المؤلف أن يصوِّر الحادثة ، وهذا ما استنتجه منها ، وقد ظهر زيف ما ادعى وبطلان ما زعم .

نخيل المؤلف أن أبا هريرة كان يسير بتوجيه الأمويين ، وينزل على ما يحبون ويضع لهم الحديث ، وأدلى بحجته على ذلك فساق أخباراً لا ترقى إلى الصحة والحقيقة فقال :

(قال الإمام أبو جعفر الإسكافى : إن معاوية حمل قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة فى علىّ تقتضى الطعن فيه والبراءة منه ، وجعل لهم على ذلك جعلا يرغب فى مثله ، فاختلقوا له ما أرضاه ، منهم أبو هريرة وعمرو بن العاص ، والمغيرة بن شعبة ، ومن التابعين عروة ابن الزبير إلى آخر كلامه) .

وقال : (لما قدم أبو هريرة العراق مع معاوية عام الجماعة جاء إلى مسجد الكوفة فلما رأى كثرة من استقبله من الناس جثا على ركبتيه ، ثم

---

(١) يشير المؤلف إلى الحديث الذى ذكره فى الصفحة ١٧٩ من كتابه عن أبى هريرة (يعنى أبو بكر فى الحجة التى أمره عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل حجة الوداع بسنة فى مؤذنين بعثهم يوم النحر يؤذنون بمنى : أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ، ثم أردف رسول الله بعلى بن أبى طالب فأذن معنا يوم النحر) . يذكر هذا الحديث ويعلق عليه بأنه من تزوير أبى هريرة وتنميقه ليرضى رعاع الناس والسلطة الحاكمة . وأن هذا الحديث صحيح أخرجه البخارى فى صحيحه. انظر البخارى بشرح السندي : ٣/٧٦ وابن سعد فى طبقاته انظر ٢ : ١/١٢٠ .

(٢) أبو هريرة : ١٧٠ .

ضرب صلعته مراراً ! ! وقال : يا أهل العراق .. أتزعمون أنى أكذب على الله ورسوله (١) وأحرق نفسى بالنار ؟ والله لقد سمعت رسول الله يقول : «إن لكل نبى حرماً ، وإن المدينة حرمى ، فمن أحدث فيها حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين قال : (وأشهد بالله أن علياً أحدث فيها ! ! فلما بلغ معاوية قوله أجازه وأكرمه ، وولاه إمارة المدينة . ص ٣٨ — ٣٩) وروى فى هامش ص ٣٩ (عن سفيان الثورى عن عبد الرحمن بن قاسم عن عمر بن عبد الغفار : أن أبا هريرة لما قدم الكوفة مع معاوية كان يجلس بالعشيات بباب كندة ، ويجلس الناس إليه فجاءه شاب من الكوفة — لعله الأصبغ بن نباته — فجلس إليه فقال: يا أبا هريرة.. أنشدك بالله أسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعلى بن أبى طالب : « اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » ؟ فقال : اللهم نعم . قال : فأشهد بالله لقد واليت عدوه وعاديت وليه ثم قام عنه وانصرف) (٢) .

هذه أخبار مختلفة استشهد بها المؤلف ليدعم زعمه أن أبا هريرة كان عميلا للأمويين ، وضاعاً للحديث . إلا أن هذه الأخبار مردودة سنداً ومتناً .

أولا : أما من حيث السند . فإن ابن أبى الحديد صاحب شرح نهج البلاغة نقل هذه الأخبار عن شيخه محمد بن عبد الله أبو جعفر الإسكافى (— ٢٤٠ هـ) وهو من أئمة المعتزلة المتشيعين . والعداء مستحكم بين المعتزلة وأهل الحديث من أواخر القرن الأول الهجرى وأصبح متوارثاً . وأترك التعريف بأبى جعفر وتزكيته لتلميذه ابن أبى الحديد فيقول : ذكر

---

(١) إن صاحب كتاب «أضواء على السنة» ساق هذه الروايات فى ص ١٩٠ — ١٩١ وعلق فى الهامش على هذا الخبر فقال : (يدل هذا القول على أن كذب أبى هريرة على النبى قد اشتهر حتى عم الآفاق لأنه قال ذلك وهو بالعراق وأن الناس جميعاً كانوا يتحدثون عن هذا الكذب فى كل مكان . هامش ١٩٠) انظر إلى هذا المؤلف الذى أخذ عن أستاذه فبزه وتفوق عليه بالاستنتاجات الخيالية والأوهام الصورية . ولكن له وقفة بين يدى الله تعالى .

(٢) يعلق صاحب كتاب «أضواء على السنة» بعد هذا الخبر فيقول : (ثم قام عنه بعد أن صفعه هذه الصفعة الأليمة . .) إنه يريد أن ينتهز أية فرصة ليصب غضبه على أبى هريرة لبغضه إياه وحقده عليه .

شيخنا أبو جعفر الإسكافي رحمه الله تعالى وكان من المتحققين بموالاة عليّ عليه السلام والمبالغين في تفضيله وإن كان القول بالتفضيل عاماً شائعاً في البغداديين من أصحابنا كافة إلا أن أبا جعفر أشدهم في ذلك قولا ، وأخلصهم فيه اعتقاداً) (١) .

هذه شهادة تلميذ لأستاذه لايرقى إليها الشك ، ولايعتريها الظن والتأويل ، فالأستاذ من أهل الأهواء ، الداعي إلى هواه ، بل من المتعصبين في ذلك ، بشهادة أقرب الناس إليه وأعرفهم به . فإذا سبق لأمثاله أن كذّبوا الصحابة في الحديث بل في نقل القرآن فليس بعيداً أن يكذبوا على أبي هريرة ويفتروا عليه وعلى بعض للصحابة والتابعين .

فروايته مردودة لسببين :

الأول : ضعف الإسكافي لعاملين : الأول لأنه معتزلي يناصب العداء لأهل الحديث ، والثاني ، أنه شيعي محترق . فقد اجتمع هذان العاملان فيه ، ويكفي أحدهما لرد روايته . وبعد هذا لا يعقل أن تقبل الجرح والتعديل أو الزواية من رجل مطعون في عدالته ، مشكوك في روايته يعادي أهل السنة ، فمن البداهة رفض روايته .

الثاني : لم تذكر هذه الروايات في مصدر موثوق بسند صحيح . علماً بأن الإسكافي لم يذكر لها سنداً فلن أقول إنها موضوعة ، بل يكفي إنها ضعيفة لا يحتج بها .

ثانياً : وأما من حيث المتن — فلم يثبت أن معاوية حمل أحداً على الطعن في أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه . ولم يثبت عن أحد من الصحابة أنه تطوع في ذلك ، أو أخذ أجراً مقابل وضع الحديث ، والصحابة جميعاً أسمى وأرفع من أن ينحطوا إلى هذا الحضيض ، ومعاذ الله أن يفعل هذا إنسان صاحب رسول الله وسمع حديثه وزجره عن الكذب ، وإن جميع ما جاءنا من هذه الأخبار الباطلة ، إنما كان عن طريق أهل الأهواء الداعين

---

(١) شرح نهج البلاغة : ١/٤٦٧ طبعة بيروت .

إلى أهوائهم المتعصبين لمبادئهم ، فتجرأوا على الحق ، ولم يقيموا للصحبة حرمتها ، فتكلموا فى خيار الصحابة واتهموا بعضهم بالضلال والفسق ، وقذفوا بعضهم بالكفر ، وافتروا على أبى بكر وعمر وعثمان وغيرهم (١) ، وقد كشف أهل الحديث عن هؤلاء الكذبة ، لذلك ناصبت أكثر الفرق العداء أصحاب الحديث ، فاخترعوا الأباطيل وأرادوا أن تفقد الأمة الثقة بهم ، وتتبعوا أحوالهم ، من ذلك ما فعله المعتزله والروافض وبعض فرق الشيعة ، ومن أراد الاطلاع على بعض هذا فليراجع كتاب قبول الأخبار للبلخى . ولكن الله أبى إلا أن يكشف أمر هذه الفرق ، ويميط اللثام عن وجوه المتسترين وراءها ، فكان أصحاب الحديث هم جنود الله عز وجل ، بينوا حقيقة هؤلاء ، وأظهروا نواياهم وميولهم ، فما من حديث ، أو خبر يطعن فى صحابى ، أو يشكك فى عقيدة ، أو يخالف مبادىء الدين الحنيف إلا بين جهابذة هذا الفن يد صانعه ، وكشفوا عن علته .

فادعاء المؤلف مردود حتى يثبت زعمه بحجة صحيحة مقبولة . وكيف نتصور معاوية يحرِّض الصحابة على وضع الحديث كذباً وبهتاناً وزوراً ، ليطعنوا فى أمير المؤمنين على رضى الله عنه ، وقد شهد ابن عباس رضى الله عنهما لمعاوية بالفضل والعقل والفقه (٢) وقد ذكر ذلك البخارى فى صحيحه . فهل للمؤلف أن يتهم حبر الأمة وعالمها بالكذب ، أو بالتشيع لمعاوية (٣) ؟ هذا لا يمكن ، وشهادة ترجمان القرآن صحيحة ، وبذلك ننفى تهمة المؤلف الأمين ! ! وقد افترى الإسكافى على الصحابة الذين ذكرهم ، وبين ابن العربى فى « العواصم والقواصم » جانباً من أمرهم ومكانتهم وورعهم ، كما بينت كتب التراجم سيرتهم . ثم إن روايات أهل الأهواء تسربت إلى التاريخ الإسلامى ، وخاصة ما يتعلق بأخبار الأمويين

---

(١) انظر العواصم من القواصم : ١٨٢ — ١٨٣ .

(٢) فتح البارى : ٨/١٠٤ — ١٠٥ .

(٣) انظر أضواء على التاريخ : ص ١٩١ وما بعدها فللأستاذ محب الدين كلمة قيمة فى معاوية يجدر الاطلاع عليها .

لأن كتب التاريخ كتبت بعد بنى أُمية فشوهت سيرتهم (١) ومع هذا لم يعدم التاريخ الرجال الأمناء المخلصين ، الذين دوّنوا حوادثه بأسانيدها حتى يتبين المطلع الصحيح من الباطل ، فليس كل خبر فى كتاب يقبل ويؤخذ به ، فلابد من دراسته دراسة علمية حسب منهج المحدثين الدقيق — سنداً ومتناً .

ثم إنا نستبعد صحة هذا الخبر ، فإن عروة ولد سنة (٢٢ هـ) فكان عمره فى فتنة عثمان رضى الله عنه (١٣ سنة) ، وعندما استشهد أمير المؤمنين علىّ رضى الله عنه (١٨ سنة) . فمن يتصور خليفة كمعاوية يحمل عروة ابن الزبير ليضع أحاديث تطعن فى على رضى الله عنه ؟ ثم إن عروة نفسه كان يافعاً على عتبة العلم لم يشتهر بعد . فكان أحرى بمعاوية — لو صح الخبر — أن يغرى من هو أشهر منه وأعلم من كبار الصحابة والتابعين . وإن قال قائل إنما استعان به أيام خلافته بعد استشهاد الخليفة الراشد الرابع ، فالجواب بدهى فى أن عروة كان حين وفاة معاوية ابن (٣٨) ثمان وثلاثين سنة ، فلِمَ يستفيد منه؟ وفى الأمة كبار الصحابة والتابعين . أيفيد منه ليضع له الحديث كما زعم الكاتب ؟ إن كلمة المسلمين اجتمعت سنة (٤٠) عام الجماعة حين بايع الحسن معاوية بالخلافة وثبتت دعائم الحكم ، فلم تبق أية ضرورة للدعاية للأمويين وهم الحكام وبيدهم الزمام . ولو سلمنا جدلا أن عروة قد قام بما ادعاه المؤلف ! ! فهل يسكت عنه علماء الأمة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ وبينهم الأبطال الشجعان وفيهم الأقوياء الأفذاذ ؟ ؟ لقد كانت الأمة الإسلامية واعية فى ذلك العصر ، عرف أبناؤها الحوادث جميعها وعاصروها واختبروها فلم تعد تخفى دقائقها على أحد ، وعرف المسلمون قادتهم من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يكن من السهل أن يغير وجهَ الحق بعضُ الصحابة والتابعين — كما زعم المؤلف — لإرضاء الخليفة وإشباع ميوله ورغباته . وإن من يحاول إثبات صحة هذا الخبر ليتجنى على الأمة جميعها ، ويجعل من عاصر

---

(١) العواصم من القواصم : ص١٧٧ .

تلك الحوادث بلهاً مغفلين ، يعمى عليهم الحق بالدعايات الكاذبة والأخبار الموضوعة ، والواقع يثبت خلاف ذلك ، ويثبت وضع الخبر وعدم صحته .

أما الخبر الثانى وهو قدوم أبى هريرة العراق ، فإنه من رواية الإسكافى وقد عرفناه وعرفنا منزلة أخباره . ولو سلمنا — جدلا — بصحة هذه الرواية ، فإن أبا هريرة يدفع عن نفسه ما أشاعه بعض خصوم الأمويين . ثم إن الحديث الذى روى عن أبى هريرة ينفى نفياً قاطعاً صحة هذه الرواية ويبين زيفها . فقد روى مسلم عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « المدينة حرم ، فمن أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . لا يُقبل منه يوم القيامة عدل ولا صرف » (١) . فليس فيها تلك الزيادة التى اختلقتها أيدى الواضعين فى ذم الإمام علىّ لينال أبو هريرة أجره من معاوية رضى الله عنهم جميعاً .

والمؤلف الأمين يحذف من الرواية بعضها وهو « إن لكل نبى حرماً وإن حرمى بالمدينة ما بين عير وثور » لأن هذا القسم سينقض روايته وادعاءه لأن الثابت عن أبى هريرة أنه لم يذكر هذا بل ذكره أمير المؤمنين علىّ رضى الله عنه فى كلمة مشهورة له كما فى صحيح مسلم (٢) إلا أن الإسكافى ذكرها عن أبى هريرة (٣) وهذا دليل آخر على سوء نياتهم وموقفهم من أبى هريرة خاصة وبعض الصحابة عامة .

ثم إن المؤلف نفسه يناقض برواياته ما يزعمه ويدعيه . فقد زعم قبل قليل فى الصفحة (٢٥) من كتابه أن بسر بن أبى أرطأة ولى أبا هريرة المدينة حين قدم إليها . وفى الصفحة (٣٩) يقول : (فلما بلغ معاوية قوله أجازه وأكرمه وولاه إمارة المدينة) ! ! فأى الخبرين يحب المؤلف أن نعتمد

---

(١) صحيح مسلم : ٢/٩٩٩ حديث ٤٦٩ .

(٢) انظر صحيح مسلم : ٢/٩٩٥ وما بعدها و ٢/١١٤٧ وقد نقل صاحب «أضواء على السنة » الرواية كاملة ظناً منه أنه يوفق لإثبات خطأ أبى هريرة ولم يفلح لأنها ليست من روايته . انظر صفحة (١٩٠) من كتابه .

(٣) شرح نهج البلاغة : ١/٤٦٧ .

ونأخذ به ؟ أم أن المؤلف يرى فى الخبر الثانى توكيداً لإمارته على المدينة ؟ إن له ما أراد وما اختار من الروايات المتعارضة ! ! .

وأما ما ذكره فى الهامش من صفحة (٣٩) رواية عن الثورى فقد نقلها إلينا أبو جعفر الإسكافى وجربنا عليه الكذب والطعن فى الصحابة فروايته هذه غير مقبولة من طريقه . وهناك رواية عن أبى هريرة ليست فيها الزيادة ورد الشاب عليه (فأشهد بالله لقد واليت . .) التى ذكرها الإسكافى . فالرواية عن داود بن يزيد الأودى عن أبيه قال : دخل أبوهريرة المسجد فاجتمع إليه الناس فقام إليه شاب فقال : أنشدك بالله سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من كنت مولاه فعلى مولاه . اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » ؟ قال : فقال : إنى أشهد أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من كنت مولاه فعلى مولاه . اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ». رواه أبو يعلى والبزار بنحوه (١).

إن هذه الرواية تثبت مكانة أبى هريرة عند أهل العراق ، إذ يستشهدونه عن سماعه لحديث فى مكانة علىّ رضى الله عنه ، بخلاف ما ذهب إليه الكاتب . وليس فيها تلك الزيادة التى ألحقت لحاجة فى نفس من صنعها ، وحاول أن يدلس على الناس حقيقة الحديث . . وهكذا ينكشف أمر هؤلاء الذين خاضوا فى الصحابة وأعراضهم وعدالتهم ودينهم . . ولم تكن هذه الحادثة صفعة أليمة (٢) من ذلك الشاب لأبى هريرة . بل كانت صفعة قاضية من الحق لأعدائه ! !

ويتابع المؤلف افتراءه على أبى هريرة ويتهمه بالولاء للأمويين حتى زعم أن أبا هريرة كان يرتجل الأحاديث يدافع بها عن منافقى بنى أُمية (٣) الذين لعنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم . . .

---

(١) مجمع الزوائد : ٩/١٠٥ وقال : (وفى أحد إسنادى البزار رجل غير مسمى ، وبقية رجاله ثقات فى الآخر . وفى إسناد أبى يعلى (داود بن يزيد وهو ضعيف) فالحديث صحيح فى إحدى روايتى البزار .

(٢) إشارة لما قاله مؤلف « أضواء على السنة المحمدية » فى الصفحة ١٩١ .

(٣) انظر كتاب « أبو هريرة » لعبد الحسين ص ٣٩ .

ولهذا عرف الأمويون فضله عندهم فعمل (مروان وبنوه فى تعداد أسانيده وتكثير طرقه أعمالا جبارة ، لم يألفوا فيها جهداً ، ولم يدّخروا وسعاً . حتى أخرجه أصحاب الصحاح والسنن والمسانيد . ولمروان وبنيه فى رفع مستوى أبى هريرة وتفضيله على من سواه فى الحفظ والضبط والإتقان والورع أعمال كان لها أثرها إلى يومنا هذا . . ص ٤٠) ثم يسوق قصة كاتب مروان حين كتب ما حدّث به أبو هريرة ، ويستشهد بالمشادة التى قامت بين مروان وأبى هريرة يوم وفاة الحسن والخلاف فى مواراته فى حجرة الرسول صلى الله عليه وسلم . ويرى أن هذه مؤامرة للإشادة بحفظ أبى هريرة ، وأفضليته فى ذلك على كثير من الصحابة . ويرى أن هذه المؤامرة الممثلة انتهت بتسليم مروان وخنوعه واعترافه بفضل أبى هريرة ومكانته وفى هذا يروِّج — كما يزعم المؤلف — بضاعة أبى هريرة (التى كان مروان ومعاوية وبنوهما يحاربون بها الحسن والحسين وأباهما وبنيهما . وكانت من أنجع الدعايات فى تلك السياسات . . ص ٤٢) .

لقد سبق أن بينت وجه الحق فى هذه الحقائق التاريخية ، وإنما نظر المؤلف إليها بمنظاره الأسود ، من خلال نفسه وآرائه ، فكانت صورة ناطقةعما يدور فى ضميره وتنطوى عليه سريرته .

* * *

٨ — كمية حديثه (١) : (ص ٤٢ — ٥٥) :

قال المؤلف : (أجمع أهل الحديث — كما فى ترجمته من الإصابة وغيرها

---

(١) قديماً أخذ النظام على أبى هريرة كثرة حديثه وتابعه بعض المعتزلة منهم أبو القاسم البلخى وتعرض لذلك فى كتابه قبول الأخبار ومعرفة الرواة ، وقد رد ابن قتيبة على النظام فى كتابه تأويل مختلف الحديث صفحة ٤٨ وبرأ أبا هريرة من تهمة النظام . ومن المتأخرين عبد الحسين شرف الدين فى كتابه « أبو هريرة » ونحن نناقشه ذلك ، وكذلك دائرة المعارف الإسلامية نقلا عن جولد تسيهر ، ومحمود أبو رية فى كتابه أضواء على السنة ص ١٦٢ ويجمعهم جميعهم فى ذلك هوى متبع ومآرب نفسية تخدم مبادئهم سواء أكانت طائفية أم تبشيرية . وقد تولى الدكتور مصطفى السباعى الرد على المستشرقين وعلى أبى رية فى كتابه « السنة ومكانتها فى التشريع =

— على أنه أكثر الصحابة حديثاً ، وقد ضبط الجهابذة من الحفظة الأثبات حديثه فكان خمسة آلاف وثلاثمائة وأربعة وسبعين مسنداً ، وله فى البخارى فقط أربعمائة وستة وأربعون حديثاً .

وقد نظرنا فى مجموع ما روى من الحديث عن الخلفاء الأربعة فوجدناه بالنسبة إلى حديث أبى هريرة وحده أقل من السبعة والعشرين فى المائة ، لأن جميع ما روى عن أبى بكر إنما هو مائة واثنان وأربعون حديثاً ، وكل ما أسند إلى عمر إنما هو خمسمائة وسبعة وثلاثون حديثاً ، وكل ما لعثمان مائة وستة وأربعون حديثاً ، وكل ما رووه عن علىّ خمسمائة وستة وثمانون مسنداً ، فهذه ألف وأربع مائة وأحد عشر حديثاً ، فإذا نسبتها إلى حديث أبى هريرة وحده — وقد عرفت أنه ٥٣٧٤ — تجد الأمر كما قلناه ، فلينظر ناظر بعقله فى أبى هريرة ، وتأخره فى إسلامه ، وخموله فى حسبه ، وأُميته . وما إلى ذلك مما يوجب إقلاله ، ثم لينظر إلى الخلفاء الأربعة ، وسبقهم ، واختصاصهم ، وحضورهم تشريع الأحكام ، وحسن بلائهم فى اثنين وخمسين سنة . ثلاث وعشرين كانت بخدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتسعة وعشرين من بعده ، ساسوا فيها الأمة وسادوا الأمم . . فكيف يمكن والحال هذه أن يكون المأثور عن أبى هريرة وحده أضعاف المأثور عنهم جميعاً ؟ أفتونا يا أُولى الألباب ؟ ! وليس أبو هريرة كعائشة وإن أكثرت أيضاً ، فقد تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل إسلام أبى هريرة بعشر سنين ، فكانت فى مهبط الوحى والتنزيل ومختلف جبرائيل وميكائيل أربعة عشر عاماً ، وماتت قبل موت أبى هريرة بيسير) .

ثم وازن بينهما فى الذكاء والفطنة ، ثم قال : (على أنها اضطرت إلى نشر حديثها إذ بثت دعاتها فى الأمصار ، وقادت إلى البصرة ذلك العسكر

=الإسلامى » . وانظر كتاب « ظلمات أبى رية » :ص١٦٢ ، والأنوار الكاشفة لما فى كتاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة : ص ١٥٢ . والمنهج الحديث : ص ١٥٣ ، وكتاب الحديث والمحدثون ص ١٥٣ .

الجرار . ومع هذا فإن جميع ما روى عنها إنما هو عشرة مسانيد ومائتا مسند وألفا مسند ، فحديثها كله أقل من نصف حديث أبي هريرة .

ولو ضممت حديثها وحديث أم سلمة مع بقائها إلى ما بعد وقعة الطف وجمعت ذلك كله إلى حديث البقية من أمهات المؤمنين ، وحديث سيدى شباب أهل الجنة ، وسيدة نساء العالمين وحديث الأربعة من خلفاء المسلمين ما كان كله إلا دون حديث أبي هريرة وحده ! وهذا أمر مهول ألفت إليه أرباب العقول . .) .

ثم يطعن فى حديث الوعائين ، ويستشهد بأقوال أبي هريرة فى ذلك ، ثم يقول : (قلت : إن أبا هريرة لم يكن من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولى عهده ، ولا خليفته من بعده ، ليؤثره بأسراره ، ويفضى إليه من العلوم ما لم يفض بها إلى أحد من خاصته . وما الفائدة بإفضاء تلك الأسرار إليه ؟ وهو رجل ضعيف ذو مهانة تمنعه أن ينبس فى شيء منها ببنت شفة ، فإذا نبس رجم بالحجارة ، ورمى بالبعر وبالمزابل ، وإذا حدّث بشيء من تلك العلوم قطعوا منه البلعوم) .

ويستغرب كيف لا يفضى بها إلى الخلفاء من بعده ؟ ويرى قول أبي هريرة (إن أبا هريرة لايكتم ولايكتب) يعارض حديث حفظ الوعائين ، وهو صريح فى أنه كان يكتم ؛ ثم يستهزىء بما كتم أبو هريرة ، ويتساءل : هل أحد الوعاءين من باب الأسرار الإلهية . . . ثم يتساءل عن بعض أحاديث حدّث بها ، وقد وردت فى الصحيحين ، وفهمهما الجمهور من غير لبس ، وجميع أهل السنة يعرفون صحتها ، ولكنه أراد أن يتهكم ويسخر من أبي هريرة(١) وإن ضيق تفكيره ، وتحامله على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم جعله يفهم هذه الأحاديث فهماً خاطئاً ، ويحملها على غير مواضعها .

ثم يرى حديث أبي هريرة : (ما من أصحاب النبي أحد أكثر حديثاً عنه منى إلا ما كان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب) يعارض

---

(١) انظر (أبو هريرة) : ص ٥٠ — ٥٢ .

كثرة حديث أبي هريرة ، ويرى أنه إقرار صريح من أبي هريرة بأن ابن عمرو أكثر منه حديثاً . وقد بلغ مسند عبد الله بن عمرو (٧٠٠) حديثاً .

ثم يزعم أن العلماء حاروا في أمر أبي هريرة ولم يروا مخرجاً له ، اللهم إلا ما علله ابن حجر القسطلاني والشيخ زكريا الأنصاري ، بأن عبد الله ابن عمرو قطن مصر بينما سكن أبو هريرة المدينة مقصد المسلمين . ومع هذا يرى كلام أبي هريرة صريحاً يحبط تأويل واعتذار القسطلاني والأنصاري .

ويعود ليقارن بين مقام أبي هريرة في المدينة وعبد الله بن عمرو في مصر ويغمز جانب أبي هريرة ويجعله من المتهمين عند من يفد إلى المدينة ويقول : (وكثيراً ما كانوا ينقمون عليه إكثاره على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون إن أبا هريرة يكثر الحديث ، ويقولون : ما للمهاجرين والأنصار لا يحدثون مثل حديثه . .) .

وينتهي الباحث النزيه من تحقيقه هذا في كثرة أحاديث أبي هريرة إلى النتيجة الآتية حيث يقول :

(والحق أن أبا هريرة إنما اعترف (١) لعبد الله في أوائل أمره بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين لم يكن مفرطاً هذا الإفراط الفاحش ، فإنه إنما تفاقم إفراطه وطغى فيه على عهد معاوية حيث لا أبو بكر ولا عمر ولا عليّ ولا غيرهم من شيوخ الصحابة الذين يخشاهم أبو هريرة) .

من الغريب أن يعجب الكاتب لكثرة حديث أبي هريرة . ومن العجيب أن يثير هذا في القرن العشرين ! ! فهل يعجب من قوة ذاكرة أبي هريرة أن تجمع (٥٣٧٤) حديثاً ؟ أم يعجب أن يحمل هذه الكثرة عن الرسول صلى الله عليه وسلم خلال ثلاث سنوات ؟ .

— إذا كان يعجب من قوة حافظة أبي هريرة فليس هذا مجالا للدهشة والطعن ، لأن كثيراً من العرب قد حفظوا أضعاف أضعاف ما حفظه أبوهريرة ، فكثير من الصحابة حفظوا القرآن الكريم والحديث والأشعار ،

---

(١) يشير المؤلف إلى حديث أبي هريرة : (ما من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أحد أكثر حديثاً عنه مني) .

فماذا يقول المؤلف فى هؤلاء ؟ ماذا يقول فى حفظ أبى بكر أنساب العرب ؟ وعائشة رضى الله عنها شعرهم ؟ وماذا يقول صاحبنا فى حماد الراوية الذى كان أعلم الناس بأيام العرب وأشعارها وأخبارها وأنسابها ولغاتها ؟ وماذا يقول فيه إذا علم أنه روى على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات ، من شعر الجاهلية دون الإسلام (١) ؟ وماذا يقول فى حفظ حبر الأمة عبد الله بن عباس ؟ فحفظ أبى هريرة ليس بدعاً وليس غريباً وخاصة إذا عرفنا أن تلك الأحاديث الـ (٥٣٧٤) مروية عنه ولم تسلم جميع طرقها . فأبو هريرة لا يتهم فى حفظه وكثرة حديثه من هذا الوجه .

— وإذا كان المؤلف يعجب من تحمل أبى هريرة هذه الأحاديث الكثيرة عن الرسول صلى الله عليه وسلم خلال ثلاث سنوات ، فقد غاب عن ذهنه أن أبا هريرة صاحب الرسول صلى الله عليه وسلم فى سنوات ذات شأن عظيم . جرت فيها أحداث اجتماعية وسياسية وتشريعية هامة ، وفى الواقع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تفرغ فى تلك السنوات للدعوة والتوجيه بعد أن هادنته قريش . فى السنة السابعة وما بعدها انتشرت رسله فى الآفاق ووفدت إليه القبائل من جميع أطراف جزيرة العرب . وأبو هريرة فى هذا كله يرافق الرسول عليه الصلاة والسلام ، ويرى بعينيه ، ويسمع بأذنيه ، ويعى بقلبه .

ثم إن ما رواه لم يكن جميعه عن النبى صلى الله عليه وسلم ، بل روى عن الصحابة رضى الله عنهم ورواية الصحابة عن بعضهم مشهورة مقبولة لا مأخذ عليها ، فإذا عرفنا هذا زال العجب العجاب الذى تصوره المؤلف .

ومن الخطأ الفاحش أن يقارن الخلفاء الراشدون وأبو هريرة فى مجال الحفظ وكثرة الرواية . لأسباب كثيرة أهمها :

أولا : صحيح أن الصديق والفاروق وذا النورين وأبا الحسن رضى الله عنهما سبقوا أبا هريرة فى صحبتهم وإسلامهم ، ولم يرو عنهم مثل ما روى عنه . إلا أن هؤلاء اهتموا بأمور الدولة وسياسة الحكم ، وأنفذوا العلماء

---

(١) انظر الأعلام : ٢/٣٠١ .

والقراء والقضاة إلى البلدان ، فأدوا الأمانة التى حملوها ، كما أدى هؤلاء الأمانه فى توجيه شئون الأمة . فكما لا نلوم خالد بن الوليد على قلة حديثه عن الرسول صلى الله عليه وسلم لانشغاله بالفتوحات لا نلوم أبا هريرة على كثرة حديثه لانشغاله بالعلم ، وهل لأحد أن يلوم عثمان رضى الله عنه أو عبد الله بن عباس لأنهما لم يحملا لواء الفتوحات ؟ فكل امرىء ميسر لما خُلق له .

ثانياً : انصراف أبى هريرة إلى العلم والتعليم واعتزاله السياسة ، واحتياج الناس إليه لامتداد عمره ، يجعل الموازنة بينه وبين غيره من الصحابة السابقين أو الخلفاء الراشدين غير صحيحة ، بل ذات خطأ كبير .

ثم إن الباحث يطعن عليه فى هذا المجال فى حسبه ونسبه وأميته ، فهل لهذه النواحى أثر فى كثرة الرواية وقلتها ؟ لم يقل بهذا أحد .

وما رددنا به عليه بالنسبة لمقارنته بالخلفاء الراشدين ، يرد بالنسبة لمقارنته بالسيدة عائشة رضى الله عنها . ونضيف أن السيدة عائشة كانت تفتى للناس فى دارها ، وأما أبو هريرة فقد اتخذ حلقة له فى المسجد النبوى ، كما كان أكثر احتكاكاً بالناس من السيدة أم المؤمنين بصفته رجلا كثير الغدو والرواح . وأضيف إلى هذا أن السيدة الجليلة كان جل همها موجهاً نحو نساء المؤمنين ، وكان يتعذر دخول كل إنسان عليها . ومع هذا فإن المؤلف النزيه لم يكفّ لسانه عنها ، بل رأى أنها أكثرت أيضاً ! ! ؟ وهو فى هذا يناقض نفسه .

أما أنه يرى حديث أبى هريرة أكثر من حديث السيدة عائشة وأم سلمة وحديث بقية أمهات المؤمنين والحسنين وأمهما مع حديث الخلفاء الأربعة ، فقد سبق أن أجبت على ذلك . وأضيف أن أم سلمة لم تكن مرجعاً للناس كالسيدة عائشة رضى الله عنهما ، وأما الحسنان فهما من صغار الصحابة ، وقد اشتغلا فى الأمور السياسية ، فبدهى أن تكون مروياتهما قليلة ، ومثل هذا يقال فى سيدة نساء العالمين أمهما ، التى توفيت بعد وفاة رسول الله صلى الله علية وسلم بستة شهور .

فالأمر ليس مجهولا ، يحتاج إلى تفكير أرباب العقول كما ادعى ؟ ؟ وهل يقصد بأرباب العقول النظام والجاحظ ! ؟ .

إن نظرة مجردة عن الهوى تدرك أن ما روى عن أبى هريرة من الأحاديث لا يثير العجب والدهشة ، ولا يحتاج إلى هذا الشغب الذى اصطنعه أهل الأهواء ، وأعداء السنن ، وإن ما رواه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سواء سمعه منه أو من الصحابة لا يشك فيه لقصر صحبته ، بل إن صحبته تحتمل أكثر من هذا ، لأنها كانت فى أعظم سنوات دولة الإسلام دعوة ونشاطاً وتعليما وتوجيهاً فى عهد رسول الله عليه الصلاة والسلام .

أما طعن المؤلف فى حديث الوعاءين ، وتهكمه على أبى هريرة ، واستهزاؤه بما فى وعائه من العلم الذى لم ينشره . وتساؤله عن ذلك العلم . كل هذا قد طرقه العلماء قبله وبينوا أن ما عنده مما لم ينشر لا يتعلق بالأحكام أو الآداب . وليس مما يقوم عليه أصل من أصول الدين ، بل بعض أشراط الساعة ، أو بعض ما يقع للأمة من الفتن(١) ويدل على ذلك حديثه الذى ذكر بعضه المؤلف الأمين ! ! ولم يذكر تعليق راويه الذى يبين قصد أبى هريرة . قال أبو هريرة : (لو حدثتكم بكل ما فى جوفى لرميتمونى بالبعر . قال الحسن — راوى الحديث عن أبى هريرة — : صدق ، والله لو أخبرنا أن بيت الله يهدم أو يحرق ما صدّقه الناس . ! !) (٢) .

وأبو هريرة ليس بدعاً فى قوله . فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يختص بعض أصحابه بأشياء دون الآخرين ، من هذا حديثه لمعاذ ابن جبل رضى الله عنه : « ما أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صدقاً من قلبه إلا حرّمه الله على النار» . قال : يا رسول الله ، أفلا أُخبر به الناس فيستبشروا ؟ قال :« إذاً يتكلوا »(٣) وأخبر به معاذ عند موته تأثماً . خوفاً من أن يكون قد كتم العلم . ولم يكن معاذ ولى عهده ولا خليفته من بعده ، فالأمر لا يحتاج إلى ولاية عهد ولا إلى وصاية . فلِمَ ينكر الكاتب مثل هذا على أبى هريرة ولا ينكره على غيره ؟ ؟ ثم ليعرف المؤلف الذى

---

(١) راجع ص ١١٩ وما بعدها من هذا الكتاب وراجع فتح البارى : ١/٢٢٧ والرد على المنطقيين : ص٤٤٥ — ٤٤٦ .

(٢) طبقات ابن سعد : ٤ : ٢/٥٧ و ٢ : ٢/١١٩ .

(٣) فتح البارى : ١/٢٣٦ .

أساء كثيراً إلى أبي هريرة ، وشتمه وكال له السباب كيلا — أن كتمان أبي هريرة لهذا الوعاء لم يكن لخوفه ألا يسمع الناس له لمهانته وضعفه فيرموه بالبعر وبالمزابل . بل لأنه أراد أن يحدِّث الناس على قدر عقولهم ، وأن يخاطبهم بما يفهمون ويعرفون ، وبذلك أوصى أمير المؤمنين عليّ رضى الله عنه (١) .

أما قول أبي هريرة : إن أبا هريرة لا يكتم ولا يكتب . فلا يتعارض مع حديث الوعاءين لأن أبا هريرة لا يكتم العلم النافع الضرورى ، وما كتمه أبو هريرة لم يكن من هذا ؛ بل كان بعض أخبار الفتن والملاحم وما سيقع للناس مما لا يتوقف عليه شيء من أصول الدين أو فروعه .

— وأما استشهاد المؤلف بحديث أبي هريرة: (ما من أصحاب النبي أحد أكثر حديثاً عنه منى إلا ما كان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب) . ومرويات ابن عمرو التى لا تتجاوز سبعمائة حديث — على أن ابن عمرو أكثر من أبي هريرة حديثاً ، وأن أبا هريرة بذلك يقر ويعترف بتقوله على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يقل — فهو استشهاد فى غير موضعه ، بُنى على تصور خاطىء ، وفهم للحديث على خلاف الواقع .

إن الحديث يدل على أن عبد الله بن عمرو كان أكثر أخذاً للحديث من أبي هريرة ؛ لأنه كان يكتب وأبو هريرة لا يكتب . ويحتمل أن يكون قول أبي هريرة هذا فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم قبل أن يدعو له بالحفظ ، وكان يعيده فى كل مناسبة تقع له . وإذا استبعدنا هذا الفرض فكل ما فى الأمر أن عبد الله بن عمرو حمل من الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من أبي هريرة إلا أنه لم يتيسر له نشره لأسباب نبينها بعد قليل .

ولابن حجر رأى أبينه فيما يلى : قال : (قوله: فإنه كان يكتب ولا أكتب) هذا استدلال من أبي هريرة على ما ذكره من أكثرية ما عند عبد الله

---

(١) فتح البارى : ١/٢٣٥ .

ابن عمرو بن العاص ، على ما عنده : ويستفاد من ذلك أن أبا هريرة كان جازماً بأنه ليس فى الصحابة أكثر حديثاً عن النبى صلى الله عليه وسلم منه إلا عبد الله ، مع أن الموجود المروى عن عبد الله بن عمرو ، أقل من الموجود المروى عن أبى هريرة بأضعاف مضاعفة . فإن قلنا : الاستثناء منقطع فلا إشكال ، إذ التقدير : لكن الذى كان من عبد الله - وهو الكتابة - لم يكن منى ، سواء لزم منه كونه أكثر حديثاً لما تقتضيه العادة أم لا ، وإن قلنا الاستثناء متصل فالسبب فيه من جهات :

أحدها : أن عبد الله كان مشتغلا بالعبادة أكثر من اشتغاله بالتعليم فقلت الرواية عنه .

ثانيها : أن أكثر مقامه بعد فتوح الأمصار كان بمصر أو بالطائف ، ولم تكن الرحلة إليهما ممن يطلب العلم كالرحلة إلى المدينة ، وكان أبو هريرة متصدياً فيها للفتوى والتحديث إلى أن مات ، ويظهر هذا من كثرة من حمل عن أبى هريرة ، فقد ذكر البخارى أنه روى عنه ثمانمائة نفس من التابعين ولم يقع هذا لغيره .

ثالثها : ما اختص به أبو هريرة من دعوة النبى صلى الله عليه وسلم له بأن لا ينسى ما يحدّثه به .

رابعها : أن عبد الله كان قد ظفر فى الشام بحمل جمل من كتب أهل الكتاب ، فكان ينظر فيها ويحدّث منها فتجنب الأخذ عنه لذلك كثير من أئمة التابعين . اهـ) (١) .

أضيف إلى هذا أن عبد الله بن عمرو كان يتنقل بين مصر والشام والطائف ، وكثيراً ما كان يتردد على الطائف ليشرف على الوهط (الكرم) الذى كان لأبيه ، وقد ساومه معاوية بن أبى سفيان من أجله على مال كثير فأبى أن يبيعه بشىء(٢) . وقد عزا بعضهم التنافر الذى كان بينهما إلى هذه الحادثة (٣) .

---

(١) فتح البارى : ١/٢١٧ .

(٢) الأموال : ٣٠١ وكان هذا الكرم عظيما على ألف ألف خشبة .

(٣) قد تكون هذه الحادثة أحد الأسباب للتنافر بينهما ، ومشهور عن عبد الله بن عمرو =

ولابد هنا من أن أبين أن عبد الله بن عمرو لم يفسح له مجال التحديث في عهد معاوية وابنه يزيد، لأنه لم يكن على وفاق دائم مع معاوية، وربما منعه معاوية وابنه ، من ذلك ما رواه الإمام أحمد من طريق شهر قال : أتى عبد الله بن عمرو على نوف البكالى وهو يحدِّث ، فقال : حدِّث . فإنا قد نهينا عن الحديث ، قال : ما كنت لأحدِّث وعندى رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم من قريش (١) . وقول عبد الله ابن عمرو (إنا قد نهينا عن الحديث) لا يريد به ما يظنه أعداء السنَّة أن هذا النهى من رسول الله صلى الله عليه وسلم . إنما يريد به نهى معاوية وابنه يزيد كما بينته رواية ثانية فيها : (فجاءه رسول يزيد بن معاوية أن أجب . فقال : هذا ينهانى (أن) أحدثكم ، كما كان أبوه ينهانى) (٢) فربما فعل ذلك يزيد أيضاً مخافة أن يؤلِّب عبد الله الناس على بنى أُمية. تلك أسباب هامة فى قلة روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، بالنسبة لما تحمله عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، تنفى ما زعمه المؤلف من (أن أبا هريرة إنما اعترف لعبد الله فى أوائل أمره بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين لم يكن مفرطاً هذا الإفراط الفاحش ، فإنه إنما تفاقم إفراطه وطغى فيه على عهد معاوية . .) وإن قلة مرويات عبد الله بن عمرو لم تعد تثير أى شك ، أو تدخل أية شبهة على مرويات أبى هريرة الكثيرة بالرغم من تصريحه عن كثرة حديث ابن عمرو ، بعد أن عرفنا تلك الأسباب التي كان لها أثر بعيد فى قلة مروياته . .

=أنه كان قد رد على معاوية بعد صفين رداً قوياً ، روى عن عبد الله بن الحرث أنه قال : إنى لأساير عبد الله بن عمرو بن العاص ومعاوية ، فقال عبد الله بن عمرو لعمرو : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : تقتله الفئة الباغية— يعنى عماراً ، فقال عمرو لمعاوية : اسمع ما يقول هذا ، فحدثه ، فقال : أنحن قتلناه ؟ إنما قتله من جاء به ! ! راجع مسند الإمام أحمد : ١١/١٥٥ و ١٥٦ و ١٠/٦٤ بإسناد صحيح .

(١) مسند الإمام أحمد : ١١/١٧٢ رقم ٦٩٥٢ بإسناد صحيح .

(٢) المرجع السابق : ١١/١٧٢ رقم ٦٨٦٥ إسناده ضعيف .